تأصيل ثقافة الحوار
في
الفكر العربي والإسلامي

إعداد
الدكتور مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي
الأستاذ المشارك بكلية التربية
جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان - مسقط

مقدمة : خاصية اللغة للإنسان وأثرها على الحوار

من النعم التى خص الله تعالى بها الإنسان وميزه عن سائر المخلوقات هى قدرته على اكتساب اللغة ، فاللغة هى أداة الإنسان الرئيسية فى التفكير واكتساب المعرفة وتحصيل العلوم وتبادل المصالح والمنافع مع الآخرين فاللغة باعتبارها رمزا للمفاهيم قد مكنت الإنسان من تناول جميع المفاهيم فى تفكيره بطريقة رمزية مما ساعده على أن يحقق ما حققه من تقدم هائل فى اكتساب المعرفة وتحصيل العلوم والصناعات المختلفة وتبادل العلاقات بين الأفراد والشعوب.

ولما كان للغة هذا القدر العظيم من الأهمية فى حياة الإنسان ودورها فى التقدم المستمر وأثرها فى تعلمه وتفكيره فقد كان أول شيء علمه الله تعالى لآدم عليه السلام هو أسماء جميع الأشياء قال الله تعالى ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ سورة البقرة ٣١ ، وبالكلام يستطيع البشر أن يفهم كل منهم الآخر حتى لقد جعل الله تعالى معجزة الإسلام الخالدة وهى القرآن الكريم مجموعة من الأمور والنواهى والقوانين الإلهية التي تصرف شئون البشر وكذلك مجموعة من القصص القرآني في حوارات ممتعة ، كل ذلك جعله الله عز وجل فى سرد بياني إعجازي وتحدى به البشر أن يأتوا بمثله.

وإذا كانت المناقشة والحوار من العوامل الهامة فى التعليم وصقل الفكر الإنساني فإنها كذلك من العوامل الهامة فى الفكر للوصول إلى الحلول السليمة للمشكلات كما إن سلامة اللغة وبلاغة اللسان وانتقاء العبارات فى الحوار بين الناس سبب فى تحقيق أهداف الحوار الذى يزيل الحدود بينهم ويمنع الجفاء ويخلق جو من الود ويقرب بين وجهات النظر بأقصر طريق.

فالحوار إذن خاصية إنسانية منذ القدم ، وقيمة من قيم الإنسان الحضارية ، فهو تعبير عم أبرز سمات النفس الإنسانية السوية وهى سمة التسامح وهو ركيزة من ركائز الثقافة الإسلامية والعربية المستندة أساساً إلى الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه السمحة وأصوله وعقيدته المستمدة من خالق الوجود سبحانه وتعالى.

وتاريخ الثقافة العربية وتراثها الفكري والحضاري قبل الإسلام وبعده يؤكد أنها ثقافة حوار حيث تميز المثقف العربي منذ القدم بالجرأة الفكرية وحرية التعبير عن نفسه وفكره ومخاطبة الآخر وتقبله ومبادلة الحديث والحوار معه واحترامه وإن اختلفنا فى الفكر والدين والعادة ، ووصف حياة العرب قبل الإسلام بالجاهلية ليست مشتقه من الجهل الذى هو ضد العلم وإنما هى مشتقه من السفه والطيش وعدم الانصياع والطاعة فهي تقابل كلمة الإسلام الذى على الانقياد والخضوع والطاعة لله سبحانه وتعالى فلم يكن العرب فى ذلك الوقت جاهلين جهلاً ينافي العلم ، فقد ثبت أنهم كانوا أهل ذكاء ودهاء ودراية وخبرة وكان فيهم أصحاب أذهان صافية ونظرات ثاقبة فى أحوال الطبيعة والكون والحياة وأحوال الإنسان لا يقل عن نظرات الفلاسفة والباحثين ويسجل التاريخ أنهم كانوا على قدر من العلم والتفكير كما عرفت الجزيرة العربية قبل الإسلام الثقافات والأديان المختلفة والأفكار المتباينة والعادات المتنوعة وغير ذلك من مخلفات الفكر الإنسان فى عالم ذلك اليوم واعتنقها بعض العرب وحاورهم البعض الآخر ولولا سعة الفكر والثقافة العربية لكل إفرازات العقلية الإنسانية ، ومخلفاتها الفكرية لما وسعتهم أرض الجزيرة العربية .

كما ظهر أصول الفكر الحواري وصوره فى الثقافة العربية بألوان متعددة فى أشكال الخطاب والتعبير اللفظى الذى سجله التاريخ فى صور أدبية وبلاغية رفيعة والشعر ديوان العرب ، والأدب العربي حافل بأسلوب التفكير الحواري وصوره وذلك من منطق إيمانه وقناعته بأن الحوار هو لغة التفاهم والتعارف بين الشعوب والحضارات وهو وسيلة لتبادل المنافع والمصالح بين الأمم.

وما حلف الفضول إلا مثال واحد على صورة الحوار الذي انتهى إلى نصرة المظلوم وعودة الحقوق إلى أصحابها وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(لقد شهدت بدار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به من النعم ، لو دعيت لمثله فى الإسلام لأجبت) وهذه الخاصة للحوار فى الثقافة العربية من السمات التى أبقي عليها ودعمها بعد ذلك الدين الإسلامي الحنيف وصور الحوار بعد الإسلام مبثوثة فى مختلف المصادر والأصول والأصول الإسلامية ، وأولها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

كما رسخت آيات القرآن الكريم أسلوب الحوار فى منهج الدعوة ومخاطبة الآخر فقال الله تعالى :﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل الآية١٢٥) ، وذلك ليكون الحوار هو منهج هذه الأمة فى علاقتها واتصالها مع الآخر فترجم حملة الدين هذه السمة والخاصية التى أمرهم بها الإسلام فى اتصالهم بالآخرين عند قيامهم بواجب الدعوة ونشر الإسلام في ربوع العالم على أساس من الحوار والتسامح واحترام الفكر الإنساني والثقافات والحضارات وكل ما أنتجه العقل الإنساني فى العالم فهو حق للإنسانية أن تنظر فيه وتقيمه وفق معايير الحق والعدل الذي نزل به وحى الله تعالى على العالمين .

هكذا تحاول هذه الورقة المتواضعة أن توصل هذا المبدأ الحضاري والقيمة الإنسانية وتبحث عن أصول وصور الحوار فى الثقافة العربية قبل الإسلام وبعده لأن الحوار من خصائص هذه الأمة ومكوناتها الثقافية والحضارية ومن الصعب حصر جميع صور الحوار فى جذور الثقافة العربية فى هذه الدراسة ولكني سأتناول بإذن الله تعالى موضوعات مهمة تتحدث عن خصائص الفكر العربي وسماته الحضارية وجذوره الثقافية ، ودور الدين الإسلامي فى يقظة العقل العربي وتأصيل مبدأ الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة فى الدعوة والتواصل الحضاري بين الثقافات والشعوب ، وانطلاق الحضارة الإسلامية فى ربوع الأرض من مبدأ الحوار العلمي الهادف إلى معرفة الحقيقة والكشف عن سنن الله تعالى فى الوجود .

https://www.alukah.net/Articles/1179.htm

وفى سبيل الوصول إلى ذلك فقد رسمنا لهذه الدراسة الخطوات التالية:

- مقدمة فى خاصية اللغة للإنسان وأثرها على الحوار
- مفهوم الحوار فى الفكر الإسلامي
- عناصر الحوار وصوره فى أصول الفكري العربي والإسلامي
- أهمية الحوار وأهدافه فى الفكر الإسلامى
- الحوار مع الذات وصوره فى الثقافة العربية
- صور الحوار فى الفكر العربى قبل الإسلام
- أصل الحوار وصوره فى القرآن والسنة
- الحوار فى الفكر الإسلامى فى العصر الحديث
- خاتمة فى معوقات فى طريق الحوار

والله أسأل أن يمدنا بفضله ويفتح علينا أبواب العلم النافع ويهدينا سواء السبيل وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مفهوم الحوار فى الفكر العربي والإسلامي:

تأتى أهمية تحرير المفاهيم خاصة لتلك المفاهيم والمصطلحات العامة والشائعة التى لا تمنع من دخول معانى أخرى عليها أو أنها لا تعبر عن جميع معانى المصطلح أو نتيجة تقارب بعض المصطلحات وتعرف بالمترادفات بسبب قرب تلك المفاهيم من بعضها البعض فلا يكاد يفصل بينها سوى خيط رفيع ، ولعل الممارسة هي الفصيل الوحيد الذي يحدد معالم وحدود تلك المفاهيم ، ويضع الفواصل بينها.

ومفهوم الحوار من المفاهيم التى يجب أن يحدد معناه وتبين علاقته بغيره من المفاهيم المماثلة له والشبيهة به والقريبة منه مثل : الجدل والمراء والتفاوض والتصالح وغير ذلك ، وفيما يلي بيان مفهوم تلك المصطلحات:

١- الحوار: لغة التراجع: وفى الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من الرجوع والردة ...

وفى القرآن : "قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها"... إلى أن قال:"والله يسمع تحاوركما"... أى تراجعهم فى القول من حيث أمر الرسول ونصحه بالصبر وشكاية المؤمنة من مظاهرة زوجها لها[١]

التحاور: بمعنى المراجعة والتجاوب فى الخطاب والأخذ والرد فيه . والأصل فى اللفظ : حار يحور حوراً بمعنى الرجوع . وهو وارد فى قوله تعالى لدى الحديث عمن أوتى كتابه وراء ظهره ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ (سورة الانشقاق الآية :١٤)

والتحاور يقتضى المجاوبة بين طرفين يتبادلان الكلام: مخاطب ومخاطب أو متحدث ومُتلقٍّ ، بغرض الوصول إلى رأى أو إلى استنتاج واحد من هذا الكلام يعتمد فيه على مقدمات ومبادىء مشتركة مسلم بها عند هذين الطرفين ولا إمكان لمتابعة التحاور ، إلا إذا كان أحدهما موافقاً الآخر ، وتابعاً له فى الاستنتاج نفسه ، ومتدرجاً معه فيه . وحين يتحول الموقف بينهما إلى ما فيه تقابل أو تناقض ، فإن التحاور ينقلب إلى جدل . يقول تعالى :﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (سورة الكهف الآية)٣٤، ويقول سبحانه ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن

(١) أبو هاشم انتكاسة الحوار http://www.nfsl-libya.com/Articles/١١٧٩.htm

تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (سورة الكهف الآيه٣٧) ، ويقول عز وجل﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (سورة المجادلة الآيه١)

الحوار: هو تفاعل لفظى بين اثنين أو أكثر بهدف التواصل الإنساني وتبادل الأفكار والخبرات وتكاملهما. وهو نشاط حياتي يومي نمارسه فى المنزل والشارع والعمل والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام . وبقدر ما يكون الحوار إيجابياً يكون مثمراً فى حياة الفرد وحياة الجماعة . وبقدر ما يكون سلبياً يكون هداما لكيان الفرد وكيان الجماعة.

والحوار كلمة تعنى فى أبسط مفاهيمها الشائعة قبول مجالسة الخصوم .. والسماع منهم وكذا الرد عليهم ، فى جو يكتنفه البعد العلمي للقضايا المطروحة .. ويعطى فيه العقل والعقلاء مساحة أكبر وفق ثوابت من المفترض أنه متفق عليها مسبقاً..

الحوار – فى حال اكتمال دورته الكاملة – يتكون من شقين ، الشق الأول هو قبول مجالسة الخصوم والحديث معهم ، وقبول هذا الشق يعنى قبول مبدأ الحوار ، والشق الثاني يتمثل فى محصلة ذلك الحوار ، ورفض هذا الشق لا يعنى بتاتا رفض مبدأ الحوار ، فالذين يرفضون نتائج أي حوار لا ينبغي أن يوصفوا بأنهم قوم لا يؤمنوا بالحوار ، طالما لم يرفضوا مبدأ مجالسة الآخرين فى حال اكتمال نصابها .

الحوار هو وسيلة بشرية للتواصل بين عقلاء البشر عموما بواسطة سلاح الكلمة سواء أكانت مشافهة أو مكاتبة ، لذلك فمن المضحك أن يتحول إلى غاية يُتنفس الصعداء عند الوصول إليها ، ويُقبل من فلان ولا يقبل من علان ، وإذا ما استخدمه فلان فتلك الخطيئة الكبرى ، أما إذا استخدمه علان فتلك ممارسة حضارية ، وفى حق هذه الجهة يصل إلى درجة الوجوب ، وفى حق تلك الجهة عبث يجب إيقافه ، فهذا الفهم يدل على تخبط مؤسف فى فهم مدلول الكلمة .

الحوار ليس وسيلة ضغط من أجل دفع هذا الطرف أو ذلك لتغيير منهجه الفكري أو الثقافي والسياسي ، بل من تمام نجاحه أن يقبل الطرف الآخر كما هو ، ثم يُبحث فى التحول المطلوب كنتيجة للحوار ، وليس كشرط للدخول فيه ، والحوار كما قد يكون فى خانة السياسة فقد يكون أيضاً فى خانة الثقافة أو الأدب أو الدين ، وكما

يكون بين أبناء الوطن الواحد ، فقد يكون بينهم وبين غيرهم ، فالكلمة كبيرة وشاملة فلا ينبغي أن نضيق الواسع .

الحوار لا يعنى – ولا ينبغي تفسيره – على أنه تنازل ، أو خيانة ، أو استدراج ، أو تفريط ، الخ.. فالشرع والعقل والمنطق يقول إن الحوار يُقبل ويُمنح للجميع بدون استثناء ، لسبب بسيط ألا وهو كونه وسيلة – أو الية – لإيصال رسالة – ومضمون الرسالة هنا مفتوح على كل الاحتمالات– (١)

وبناء على ذلك فالحوار قد يصنف على انه مبدأ ، وقد يصنف على أنه آلية أو وسيلة .

فهو مبدأ من حيث كونه " قيمة" يجب أن يكون فى كافة المواقع ، والحرص على جعله من ضمن قائمة الوسائل عند كل الأطراف.

وهو آلية أو وسيلة ينبغي تفعيله من حيث الممارسة الميدانية ، وهنا سيكون الحديث حول مادته ، وأطرافه ، وتوقيته ، وحدوده ، وجدواه قرارا داخليا تحدده المجموعة أو الشخصية التى اختارته من بين قائمة الوسائل الطويلة وفق استراتيجيتها، كما أنها ستقطف ثماره – فى حالة نجاحه – وحدها ، وكذلك ستتحمل نتائج فشله وحدها (٢)

٢- الجدل والجدال والمجادلة : هى مفاهيم تعني المناقشة التى تستند إلى القدرة على الاستدلال ، وتقصد إلى الإقناع بالدليل لإفهام القاصر عن إدراك الشيء مع مواجهة الحجة بالحجة للإفحام والتصحيح.

وقد يرتبط بالخصومة أو المخاصمة لما فيه من إلزام الخصم . وأصل الجدل فى عمومه هو الحوار ، وإن كان هو أقرب إلى "المراء" والمجادلة الدالة على تبادل الجدل. وفى القرآن الكريم سورة تحمل هذا الاسم . وقد ورد " الجدل" بمعنى المخالفة والمنازعة فى الرأي بما قد يصل إلى شدة الخصومة فى آيتين كريمتين : الأولى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (سورة الكهف الآية :٥٤) والثانية قوله سبحانه:

---

(١) عيسى عبد القيوم – الحوار ... استخدمه لكي اسمعك
http://www.nfsl-libya.com/Articles/١٠٤٧.htm

(٢) المرجع السابق

﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (سورة الزخرف الآية٥٨) .

والجدل : هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات ، والغض منه إلزام الخصم ، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان ، والجدل : دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة .. وهو الخصومة فى الحقيقة .(١)

أما "الجدال" و" المجادلة" فجاءا بنفس المعنى الذي قد يكون دفاعاً عن الحق أو محاولة لفرض الباطل. وفى كتاب التعريفات أن الجدال عبارة عم مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها(٢)

والجدال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمبالغة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله.. وقيل الأصل فى الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهى الأرض الصلبة(٣)

وحين يكون الجدال هادفاً إلى الباطل فإنه يصبح سلبياً ، إذ لا ينتج عنه غير الخصام ، على نحو ما كان يفعل الكفار ، وهم يسعون إلى مغالبة الحق بطلب الخوارق واستعجال العذاب استهزاء وسخرية ، مما يظهر فى قوله تعالى :﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾ (سورة الكهف الآية ٥٦)

ولو يسق القرآن الحكيم لفظ "الجدال" إلا فى آيتين اثنتين هما:

أولاً: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (سورة البقرة الآية١٩٧).

ثانياً:﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(سورة هود الآية٣٢).

---

(١) على بن محمد الجرجاني – كتاب التعريفات – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٩٨٣م الصفحة٧٤.

(٢) على بن محمد الجرجاني – كتاب التعريفات – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٩٨٣م الصفحة٧٥.

(٣) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الإصفهانى – معجم مفردات ألفاظ القرآن – دار الفكر الصفحة

فى حين ذكر فعل "جادل" بصيغ الماضي والمضارع والأمر فى خمس وعشرين آية ، نشير منها إلى الآية السابقة المخاطب فيها نوح ، وفعلها ماض؛ كما نشير إلى مفتتح سورة المجادلة آنفة الذكر ، وفعلها مضارع؛ ونضيف إليهما قوله عز وجل :﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة النحل الآية:١٢٥)

٣- المراء: ومشتقاته بمعنى منازعة الغير فى زعمه ، وأصله من مري الناقة أي مسح ضرعها لتدر ، فهو من قبيل المجاز المراد منه محاولة كل طرف مجادل أن يستخرج من الطرف الآخر جل ما عنده كالحالب من الضرع.

والمراء: طعن فى كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير(١).

وقد جاءت هذه المادة فى القرآن الكريم عبر سياقين اثنين:

الأول : ورد فى المراء وفعله بصيغتى المضارع والأمر ، بمعنى شدة المجادلة والمغالبة في المناظرة ، وذلك فى أربع آيات ، على نحو قوله تعالى:﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف الآية:٢٢)

ولعل أمر الرسولﷺ بأن يماري مخاطبيه من أهل الكتاب ، إنما هو مجاراة لمرائهم له ، لما في المراء من بعد مذموم فى الجدال.

الثانى: ورد فيه الممترون وفعلهم بجميع صيغه فى إحدى عشرة آية ، كلها تدل على التردد والتشكك إلى حد التكذيب ، كقوله تعالى :﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (سورة البقرة الآية:١٤٧)

٤- المفاوضة والمصالحة

ومن المفاهيم التى ينبغي تحرير محل النزاع فيها مفهوم الحوار وعلاقته بالمفاوضة والمصالحة ، ومما لا شك فيه أن الحوار شىء غير المفاوضة والمصالحة فإذا كان الحوار : هو الكلام من أجل إيصال ملف المشكلة ومحاولة تلمس مواطن

---

(١) على بن محمد الجرجاني – كتاب التعريفات – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٩٨٣م الصفحة٢٠٩

الاتفاق فيها ، فإن المفاوضة : هى الاتفاق على شكل حل المشكلة وتلمس الجدول الزمنى أو التنفيذى لها ، والمصالحة : هى الإعلان عن قبول الصياغة النهائية لذلك الجهد والرضي بها .. فمن هنا فالذين يرفضون الحوار عن طريق شرحه كما لو كان مفاوضة أو مصالحة لا شك أنهم قد جانبوا الصواب ، وكذلك الذين يذهبون للمفاوضة أو المصالحة ويحاولون تسويق الأمر على أنه مجرد حوار ، فبكل تأكيد هم أيضا قد جانبوا الصواب ، فلكل مجال من مجالات (الحوار- المفاوضة - المصالحة) شروطه ومناخه وآلياته بل ورجاله ..[١]

(١) عيسى عبد القيوم - الحوار ... استخدمه لكى اسمعك
http://www.nfsl-libya.com/Articles/١٠٤٧-p..htm

عناصر الحوار وصوره فى أصول الفكر العربي والإسلامي

لابد للحوار من مناخ يعيش فيه من أجل أن يتحول إلى طريقة عملية منتجة ويحقق الأهداف المرجوة ، بدلا من أن يكون عملا عقيما فى الشكل والمضمون.

وتتلخص العناصر التى يجب توفرها فى عملية الحوار، فى خمسة[١]:-

١- شخصية المحاور وحرية التفكير.

٢- شخصيات الحوار ومنهج التفكير.

٣- خلق الجو الهادىء للتفكير المستقل.

٤- معرفة المتحاورين لموضوع الحوار (تحديد الفكرة) .

٥- الانضباط بالقواعد المنطقية فى مناقشة موضع الاختلاف.

وفيما يلى شرح الخصائص العامة لهذه العناصر:

١- شخصية المحاور وحرية التفكير:

من الطبيعي لأى حوار ناجح يدور بين أثنين ، يريد أصحابه أن ينتهى - فى هدفه - إلى النتيجة الحاسمة من الإيمان العميق المنفتح بنتائج الحوار ، أن يحقق شرطا أساسيا ، أن يملك كل من الطرفين حرية الحركة الفكرية التى يملك معها الثقة بشخصيته الفكرية المستقلة ، فلا يكون واقعا تحت رحمة الإرهاب الفكري والنفسي الذي يشعر - معه - بالانسحاق أمام شخصية الآخر لما يحس فى أعماقه ، بالعظمة الكبيرة والمطلقة التى يملكها الآخر ، فتتضاءل - إزاء ذلك - ثقته بنفسه ، بالتالى ، ثقته بفكره وبقابليته أن يكون طرفاً للحوار ، فيتجمد عند ذلك ويفقد قدرته على الحركة الفكرية ، فيتحول إلى صدى للأفكار التى يتلقاها من الآخر.

وقد حاول الرسول الكريم من خلال تعاليم القرآن الكريم أن يوفر ذلك الشرط للآخرين فحاول أن يؤكد ، انطلاقاً من ذلك - فى أكثر من مناسبة - على الجانب البشرية فيه ، فهو بشر مثلهم لا يملك أي قوة غير عادية فى تكوينه الذاتى ، فلا

(١) محمد حسين فضل الله - الحوار فى القرآن الكريم - دار التعارف للمطبوعات - بيروت - الطبعة الخامسة ١٩٨٧م الصفحة ٣٥ وما بعدها بتصرف ، وانظر كذلك : عبدالرحمن الحلي - منهج الحوار فى القرآن الكريم http://www.almultaka.net/web/mk١-p٧.htm

يستطيع اجتراح المعجزات التى يقترحونها عليه ، ولا يعلم الغيب ، بل كل ما فى الأمر، أن هناك وحيا ينزل عليه من الله باعتبار أنه رسول عن صاحب الوحي ،.. أما دوره فى هذا الوحي ، فهو دور الإنسان الذى يريد أن يبلغه للناس ، بكل وسيلة مقنعة، دون أن يملك أمر فرضه عليهم ، وهدايتهم ، لأنه لا يملك الطاقة السحرية المعجزة التى تدفعهم إلى الإيمان بما يدعوهم إليه . دون أن يملكوا أمر مقاومته فى ذلك ، أو يستطيعوا التفكير فيه سلبا أو إيجابا ، بل تبقى لهم حرية ذلك كله ، فإن استجابوا له ، واقتنعوا بما دعاهم إليه ، فقد حصل على غايته من أداء رسالته ، وإن لم يستجيبوا له فحسبه أنه قد بلغ عن ربه وقام بواجبه .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(سورة الكهف الآية : ١١٠)

﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف الآية١٨)

٢- شخصيات الحوار ومنهج التفكير:

لابد لمن يدخل فى عملية الحوار من إعداد جوه الداخلي للاقتناع بالنتائج الحاسمة التى يقود إليها الحوار ، إلا انقلب الموقف إلى جدل عقيم لا يراد منه إلا تسجيل المزيد من مواقف عرض العضلات الكلامية ، والمزايدات الجدلية التى لا تقدم أو تؤخر فى الموضوع ، لأن الفكرة قد أعدت سلفا بشكل لا مجال للتراجع عنده ، مهما كانت الأدلة المضادة ، تبعا للدوافع الذاتية والاجتماعية التي لا صلة لها بالقناعة الذاتية الفكرية المرتكزة على أساس من الحجة والبرهان.

وقد ركز القرآن على هذا الجانب ، فتحدث عن أولئك الذين لا يريدون أن يؤمنوا أو يقتنعوا وذلك فى قوله تعالى :**﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ*خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾** (سورة البقرة الآيتان ٦و٧) إنها الصورة الحية لأولئك الذين يستمعون للدعوة ، وقلوبهم مغلقة عن وعي ما يسمعون ، وآذانهم مسدودة عن الإصغاء إليه ، فإذا جاءتهم آيات الله بكل جلاء ووضوح ، أعرضوا عن الإيمان بها ، لا لأن لديهم ما يواجهون به هذه الآيات ، ليبرروا به إنكارهم ورفضهم ، فهم لا يملكون شيئا من ذلك ، بل لأنهم

يريدون أن ينكروا عنادا وكفرا ، ولذا فإن الكلمة التى يواجهونها للدعوة ، ويواجهون بها الدعاة ، لا تعبر عن أية مسؤولية فكرية ، قال الله عز وجل:**﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾** (سورة الأنعام الآية :٢٥) دون حجة أو برهان على ذلك .

ونجد لهؤلاء نماذج حية فى الواقع المعاصر من أعداء الحق والدين الذين لا يملكون دليلا أو علما يواجهون به أهل الحق وربما يلجأون إلى طريقة الجدل والمراء ليحل محل الحوار والعلم والتعقل.

٣-خلق الأجواء الهادئة والبعد عن الافعال للتفكير المستقل

لعل من أشد الأمور ضرورة لوصول الحوار إلى هدفه ، وجود الأجواء الهادئة للتفكير الذاتى الذي يمثل فيه الإنسان نفسه وفكره والابتعاد عن الأجواء الانفعالية التى تبعد الإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير فإنه قد يخضع فى قناعاته وأفكاره للجو الاجتماعي الذي تنطلق فيه الجماعة في أجواء انفعالية حماسية لتأييد فكرة معينة ، أو رفض فكرة خاصة ، فيستسلم لها الإنسان استسلاما لا شعوريا ، كنتيجة طبيعية لانصهاره بالجو العام وذوبانه فيه ... الأمر الذي يفقد فيه استقلاله الفكري وشخصيته المميزة ، فيعود ظلا باهتا للجماعة.

وقد صور لنا القرآن الكريم ذلك – فيما نقله لنا من أسلوب النبى محمد صلى الله عليه وسلم في الحوار مع خصوم العقيدة ، عندما واجهوه بتهمة الجنون – فقد دعانا إلى أن نتجرد عن هذا الجو الانفعالي فيما إذا أردنا أن نتبنى فكرة أو نرفضها ، أو ننسجم مع موقف أو نبتعد عنه.

قال تعالى :**﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾** (سورة سبا الآية :٤٦)

فقد أعتبر القرآن الكريم ، موضوع الاتهام للنبى بالجنون – خاضعا للجو الانفعالى الذى كان يسيطر على التجمع العدائي لخصومه آنذاك مما يجعلهم لا يملكون معه أفكارهم التى يستطيعون أن يزنوا بها صحة القضايا وفسادها ، بل تظل أفكارهم ، كمثل الصدى لأفكار الآخرين ، لذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو المحموم .. بأن يتفرقوا ، مثنى وفرادى ، فى موقف فكر وتأمل ، يرجع إليهم أفكارهم

وشخصياتهم، ليصلوا إلى النتيجة الحاسمة بأسرع وقت . لأن طبيعة الفكر الهادئ الواعي الذى يواجه شخصية النبى صلى الله عليه وسلم وأفكاره وتعاليم رسالته ، سوف يضع القضية فى موقعها الطبيعى ، الذى يرفض هذه التهمة جملة وتفصيلا ، لينتهي – بعد ذلك – إلى الإقرار بأنه رسول الله إلى الناس لينذرهم بالعذاب الأليم.

وقد نجد ذلك الجو الانفعالي الذي يحشده الأعداء ضد الإسلام وشريعته ، فيما نواجهه من الصراع المرير الذي يخوضه المسلمون من اجل تركيز المفاهيم الإسلامية فى الحياة.

ففى الجانب الاقتصادى مثلا نشاهد الحملات الظالمة التى تتهم الإسلام بالتنكر لمطالب الطبقات الكادحة ، والتعاطف مع الطبقات الاحتكارية والاستغلالية وغيرها على أساس إقرار الإسلام للملكية الفردية وحمايته لها ، من دون أن يتطلعوا إلى حماية الإسلام لمصلحة المجتمع من مساوئ هذه الملكية ومشاكلها ، فيما وضعه من حدوده ، وفيما سنه من شرائعة .

وهكذا فى كثير من القضايا التى لا يطلقها أعداء الله من قاعدة فكرية تفسح المجال للمناقشة الحرة ، بل يحاولون إثارتها فى أجواء عاطفية وحماسية ، تعطي الأساليب المتبعة فى ذلك ، أجواء الانفعال التى تفوق الجماهير فى حالات لا شعورية متوترة ، لا تترك للتفاهم سبيلا.

وفى ضوء ذلك لابد لهذا الداعية من العمل الجاد على الابتعاد بالجو الذي يعيشه أطراف الحوار ، عن هذه الأجواء الانفعالية المشدودة إلى الجو العدائي العام ، ليجرهم إلى الجو الهادئ الذى يعيدهم إلى جذور الفكرة وأسسها من جديد لتبدأ رحلة الحوار من بدايات الفكر لا من نهاياته ..

وقد يحتاج الداعية – فى عملية خلق الأجواء الهادئة للحوار – إلى الالتفات إلى بعض الحالات التى يخضع فيها أطراف الحوار إلى إحساس عميق بقداسة الفكرة التي يؤمنون بها ويدافعون عنها ، انطلاقا من جوانب عاطفية ترتبط بالذات وبعلاقتها بعيدا عن أي منطق فكري أو عقلي . مما يجعل الإنسان مشدودا إلى أشياء التى تصل بعاطفته ومشاعره الحميمة ، فيصعب عليه الانفصال عنها، والتنكر لها تحت تأثير أى ضغط فكري أو اجتماعي ، كما نلاحظ فى موقف الإنسان من عقيدة آبائه وأجداده او

تقاليدهم فإننا نلاحظ أن ارتباطه بها وشعوره تجاهها يرتبط بعلاقاتها بهم ومشاعره تجاههم . فلا مجال لديه للإيمان بخطأ هذه العقيدة أو الإقرار بانحرافها وفسادها وضررها للمجتمع لأن ذلك يشكل إدانة للآباء والأجداد وتشويها لشخصيتهم . وإساءة لذكراهم وخيانة لهم إلى غير ذلك من تعابير ومعانى التى تتصل بالقلب ولا تتصل بالعقل وتنبع من العاطفة ولا تنطلق من الفكر . ولا يقتصر هذا على العقيدة بل يمتد إلى العادات التى تخضع لها سلوك الناس فى حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية ، فلم يكن من النبى محمد ﷺ إزاء ذلك إلا أن بذل الجهد الكبير فى سبيل أن يناقشهم فى المنهج الفكري ، قبل أن يناقشهم فى طبيعة الفكرة وتفاصيلها .. فإن قضايا الفكر تنبع من عقل الإنسان وذهنه بعيدا عن أي تأثير عاطفي أو خارجي.

٤- المعرفة لموضوع الحوار

لابد لكل من طرفي الحوار ، من التعرف إلى الفكرة التى ينطلقان فى طريق إثباتها ونفيها ، لأن الجهل بها وبتفاصيلها ، يحول الحوار إلى أسلوب من أساليب الشتائم والمهاترات التى يغطي فيها كل منهما ضعفه وعجزه عن الوقوف موقف المدافع القوى عن فكرته . بينما تجعل المعرفة كلا منهما واعيا لما يطرح من فكر ، ولما يستقبل من فكر، مما يجعله يعرف كيف يبدأ الحوار ، كيف يخوض فيه ، وكيف ينتهى منه ، فى وضوح الرؤية ، وهدوء الفكر وقوة الحجة ، ووداعة الكلمة.

وقد أعطانا القرآن الكريم بعض النماذج البشرية التى وقفت ضد الرسالة والرسول من دون أن يكون لها إحاطة ومعرفة فيما تأخذ وفيما تدع ، كما فى قوله تعالى:﴿ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(سورة آل عمران الآية:٦٦) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة غافر الآية:٥٦).

فالقرآن الكريم يأخذ على الذين يخاصمون النبوات والرسالات السماوية ، أنهم يدخلون معركة الحوار ، دون سلاح ، لأنهم لا يملكون علما أو حجة ، أو إحاطة بالموضوع الذى يرفضونه ، مما يجعل من جدالهم ورفضهم قضية مزاج ، وعقده نفسية تتحكم بهم

فتدفعهم إلى اللف والدوران تارة ، وإلى التكذيب دون مبرر أخرى ، الأمر الذى لا يؤدى إلى أية نتيجة لحساب المعرفة ، أو لمصلحة الحق .

ولعلنا نجد فى واقع الصراع الذي يخوضه الإسلام مع خصومة ، الكثير من هذه النماذج التى تدخل مجال الصراع من دون أن تعرف طبيعة الفكرة التى تدافع عنها،أو تهاجمها ، سواء فى ذلك الذين ينطقون باسم الإسلام ، والذين ينطقون باسم الكفر والضلال . ممن لا يعرفون من أفكارهم وأفكار خصومهم إلا بعض المفاهيم العامة التى يحوطها الضباب فى أذهانهم من كل جانب ... وقد تمتد بهم المعرفة إلى بعض الأفكار المحددة ، فى مفهومها وتطبيقها ، ولكنهم يجهلون ارتباطها ببقية الأفكار مما يشكل وحدة فكرية متكاملة ، فيسيؤن إلى الفكرة عندما يقتطعون منها بعض الجوانب ، بعيدا عن الجوانب الأخرى مما يفقدها كثيرا من العناصر الأساسية التى تعطيها الكثير من القوة والحيوية .

ومن الطبيعي – لهذا كله – أن نحصل على نتيجة قلقة من خلال عملية الحوار فيما بين هؤلاء – قد تتمثل فى ضعف موقف المدافعين عن الإسلام . أو الداعين إليه فى بعض الحالات .. وقد تتمثل في ضعف أولئك فى دفاعهم عما يؤمنون به ، لا لضعف فى طبيعة الفكرة ، بل لضعف في معرفتهم بها ، مما يؤدي إلى استسلام الدعاة المسلمين إلى زهو الشعور بقوة حجتهم أمام ضعف عقيدة الكفر ، فيتركون الاستعداد الكبير للقوة الحقيقية لمبادئ الكفر والضلال التى تتمثل فى المفكرين الكبار الذين وعوها حق الوعي ، وعرفوها حق المعرفة ، فيؤخذون على حين غرة وغفلة .. الأمر الذي يؤدي – فى بعض الحالات – إلى الهزيمة الفكرية التى تنعكس على حركة الدعوة الإسلامية فى الحياة.

وفى ضوء هذا ، نشعر أن على الداعية المسلم ، أن يتزود بالثقافة الإسلامية التى تجعله قويا فى حجته أمام خصومه من موقع المعرفة العميقة للإسلام ، لا من مركز ضعف خصومه ، كما أن عليه أن يحيط بالثقافة المضادة التي يملكها أعداء الإسلام ، مما يعتبرونه سندا لمبادئهم ، وحجة لأفكارهم حتى يخلص من خلال الموازنة والمفاضلة بين العقيدتين ، أو بين المفهومين ، إلى النتيجة التى لا تختلف حالها،حسب اختلاف قوة الخصم وضعفه ، من حيث المعرفة والحجة والأسلوب.

٥- الانضباط بالقواعد المنطقية فى مناقشة موضع الاختلاف

فإذا تم الالتزام بهذه الأسس فإن الحوار ينطق معتمداً على قواعد العقل والمنطق والعلم والحجة والبرهان ، والحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

قد لاحظ الإسلام – فيما يحدثنا به القرآن الكريم – أن هناك طريقتين للحوار الفكري ، أو للصراع فى جميع مجالاته:

أولا : طريقة العنف التى تعتمد مواجهة الخصم بأشد الكلمات والأساليب وأقسامها ، بحيث يتركز الاختيار على كل ما يساهم فى إيلامه وإهانته وإهدار كرامته، فلا مجال لمراعاة المشاعر وعواطفه ودراسة واقع حياته والإحاطة بظروفه من أجل المحافظة على الانسجام معها ، بل الأمر ربما يكون – على العكس من ذلك – تحديا للمشاعر فى كل المجالات .

وقد لا نحتاج إلى التأكيد بأن مثل هذه الطريقة لا تنتج إلآ مزيدا من الحقد والعداوة والبغضاء والبعد عن كل الأجواء التى تقرب الأفكار وتساهم فى الوصول بالصراع إلى نتيجة طيبة .

ثانيا: طريقة اللاعنف ، أو الطريقة السلمية التى تعتمد اللين والمحبة أساسا للصراع ، انطلاقا من القاعدة الإسلامية التى تعتبر موضوع الصراع ، بمختلف مستوياته ومجالاته ، وسيلة من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف ، وهو الإيمان بالحق والوقوف معه والعمل على حشد أكبر عدد ممكن من الناس للارتباط بالهدف والانسجام معه ، لابد لهذا الخط من الالتقاء بكل الكلمات والأساليب الطيبة المرنة التى تفتح القلوب على الحق ، وتقرب الأفكار إلى مفاهيمه وأحكامه ، بعيدا عن كل المعاني الشريرة ، والسلبيات القاسية.

وقد ركز الإسلام على هذه الطريقة فى كل أساليب الحوار والجدال من أجل الوصول إلى المعرفة من جهة أو إلى الموقف الحق من جهة أخرى ، وأطلق على ذلك كله "التى هى أحسن" فهي الطابع الذي يطبع كل وسائل الحوار وأساليبه . قال الله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ* وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ**

حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(سورة فصلت الآيات ٣٣/٣٥) ومن الواضح لدينا أن الحسن تغير عن الأسلوب السلمي بينما تغير السئية عن الأسلوب العنيف وتلاحظ أن القرآن الكريم حتي يختار لنا أسلوب اللاعنف، وطريقة النفي اللين يشير إلى النتائج العلمية التى تجنبها الرسالة من خلال هذا الأسلوب ،وهو أن تحول أعدائك إلى أصدقاء ، فيطلقون معك فيما تفكر فيه، وفيما تعمل له.... ثم يغضب على ذلك بالايحاء بأن السير فى هذا السبيل يحتاج إلى مزيد من الصبر وإلى حظ عظيم من الإيمان، لأن ذلك يخضع لقوة الأعصاب ومرونة الشخصية فى مواجهتها لتحديات الخصومة ومشاكل الصراع وقد جاءت الإشارة إلى ذلك فى آيتين آخرتين تتعلقان بالدعوة والحق بشكل مباشراً.﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل الآية١٢٥) ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت الآية :٤٦)

ولن نحتاج إلى جهد كبير لنعرف أن الجدال بالتي هى أحسن ، يتمثل فى اتباع أفضل الأساليب وأحسنها فى إقناع الخصم بالفكرة التي يدور حولها الحوار ، بحيث يظل المحاور فى ملاحقة جادة واعية لكل الأساليب المطروحة المعروفة والغير معروفة ، ليختار منها الأسلوب الأحسن ، والطريق الأفضل سواء فى ذلك الكلمات التى يستخدمها والمعاني التي يعبر عنها.

ولعل من أفضل الأمثلة على ذلك هو النموذج الذي طرحه القرآن الكريم فى نهاية الآية الأخيرة فى الحديث عن جدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن فقد بدأت الآية الكريمة الحوار معهم بالطريقة التي تبحث عن مواطن اللقاء التي نشعر بها ، من خلال رسالتنا وفكرنا ، فنحن لا ننتكر لما يؤمنون به من كتاب وما يعتقدونه من رسالة ، فإن القيمة الكبيرة للإسلام هو أن ينطلق من الإيمان بكل الرسالات السماوية ، والتصديق بجميع الأنبياء ، والشعور المشترك – منا منهم – بالعبودية لله سبحانه وتعالى الذي نسلم له ولرسالاته ، وعلى هذا للأساس يبدأ الحوار من قاعدة مشتركة يمكننا أن نقف

عليها معا، حيث نشعر بإمكانية اللقاء فى القضايا الأخرى ، بعد تحقق اللقاء فى القضايا الأساسية ..

أهمية الحوار وأهدافه فى الفكر الإسلامي

قديما قالوا : أن الإنسان مدني بطبعه أي لا يستطيع أن يعيش منفردا أو منقطعا عن الآخرين من نوعه ، إذ كيف يمكن لأي إنسان أن يعيش دون أن يتعايش مع أخيه الإنسان ؟ وكيف يمكن لجماعة أو طائفة أن تتكيف مع الحياة وتعيش فى أمان وهى مشغولة بالصراع ضد الآخر الذي يعيش ضمن نطاقها الاجتماعي؟ فالعداوة والبغضاء هما ضد غايات البشر فى السلام والأمان ، وبسببهما تنتهي الحياة إلى جحيم ممتلئ بالبأساء والضراء والتخلف والحروب؛ وبنظرة للتاريخ من بدايته يمكن أن تستكشف أن آلام المجتمعات البشرية لم يجلبها إلا أولئك الذين اختاروا طريق الشر بديلاً وحيداً لمصالحهم وأهدافهم ونزعاتهم التسلطية والشهوانية ، فلا يملكون إلا القتل والحقد والعداوة كأسلوب من أساليب التعبير عن مصالحهم فقتل قابيل هابيل ليؤكد ذاتيته بذلك ولينفس عما تستريح إليه فكان القتل هو الأسلوب الذي يفهمه فليس عنده مجال للكلمة والحوار والتفاهم ليأخذ ويعطي.

فلا يمكن لبنى البشر أن يتقدموا فى بناء حضارتهم إلا وفق نواميس وشرائع اتفقوا عليها مع الزمان ، وتوفقوا فيها مع المكان ليكون التقدم سمتهم والإنتاج أسلوب حياتهم ، وبالتالي الخلود على صفحات التاريخ الإنساني المشرقة بأحرف من نور ، وذلك لم يكن يوما إلا للأمم القائدة ، حاضنة العقول المفكرة والألسن المحاورة والهمم الوثابة والمتحفزة للبناء والتشييد لتحقيق تلك الفكرة أو الأفكار بعد أن محصتها الحوارات والنقاشات والتداولات أخرجت ذلك كله على شكل باقة من الإنجازات والمعالم الحضارية فى مختلف المجالات الفكرية والمادية.(١)

فالحوار إذن هو مادة التقدم العقلي والفكري ومحور التقدم الحضاري والمادي، ومتى ما فقد الإنسان القدرة والرغبة على الحوار ، انحدر إلى الدرك الأسفل من سلم

---

(١) سعيد بن سلطان الهاشمي – حوار ..... عزة..... حضارة
http://www,alwatan.com/graphics/٢٠٠٢/mer/٥,٣/heads/ot١٢.htm

التطور والرقي بين الأمم والشعوب ، فالحوار تواصل مع الذات في بدء انطلاقها إلى الهمم العالية واتصال مع الآخر القريب للانتفاء والاختيار وامتداد مع الآخر البعيد في التبادل والتنافس والتميز.

التنوع والتعدد فى وجود الجماعات واختلاف مشاربها وأشكالها هو سنة طبيعية جميلة فى الحياة فعبر ذلك تتحقق المنافسة الايجابية ويحدث التطور والتقدم ، ولكن أن تتمحور هذه الجماعات نحو ذاتها ، وتتحول إلى طاقة هدامة ومستنفرة ضد – الآخرين فهو ضد حقيقة التنوع والتعدد ؛ إذ التنوع الإيجابي قائم على الاعتراف بالآخرين واحترام وجودهم.

فالصراع لا يؤدي إلا إلى التنافر والتباغض بين الأفراد وتفكيك تماسك المجتمع ، وهدم أسسه القائمة على التكافل والتعاون والعيش المشترك ؛ فالعداوة تصرف الطاقات وتبدد الجهود فى صراعات ممزقة للكيان الاجتماعي ، وتفرز نتائج خطيرة تظهر فى أشكال التناحر المصاحبة للعنف والإحباط وفقدان غايات الحركة الحضارية ، وضياع أهداف الوجود الإنساني الفاعل ، فإذا كانت لغة العداوة والقتل هى اللغة التي يتحدث بها أفراد الأمة وطوائفها وأحزابها ، فيكون الصراع هو أسرع الطرق بل هو الطريق الأوحد لانتحار الأمة ونهاية تاريخها!!.

وإذا كانت المشكلة هى مشكلة تضاد الأفكار واختلاف التصورات ، فإن الحوار هو الطريق الأمثل لتحقيق التجانس ، وإذا كانت المصالح هي جوهر الصراع، فإن المصالح المشتركة لا يمكن تقنينها دون وجود الحوار الحقيقي وفى غياب هذا الحوار يكون الصراع سمة العصر وعنوان الحضارة ، فالحوار إذن هو الطريق الأمثل لتحقيق العقد المشترك الذي يضمن للجميع مصالحهم وحرياتهم وحقوقهم.

فالحوار مع الآخر والإقدام عليه يعبر عن قوة الإيمان الذي يتحلى به المسلم وثقته بدنيه ونفسه ، خاصة إذا علمنا أن الإسلام ساد وانتشر فى العالم بقوة الحوار والجدال بالتى هي أحسن مع الآخر، فالإنسان يميل بفطرته نحو الحق والجمال ، ويحب العدل والحرية والأخلاق الحميدة ، وهذا ما يبشر به الإسلام.

ولا تقتصر أهمية الحوار على الساحات الثقافية والحضارية ولا بين الأفراد والجماعات أو في الندوات والمؤسسات فإن غياب الحوار الأسري بين الزوج والزوجة

وبين الآباء والأبناء وبين الأخوة وبين الأبناء وبعضهم البعض له خطره وضرره على كيان الأسرة وتماسكها وعلى التعاون والثقة بين أفرادها ، فقد حث الإسلام الآباء على إقامة علاقة صداقة ومحبة مع الأبناء خصوصا فى سن المراهقة ، على أن تكون مرحلة المراهقة هي مرحلة المصاحبة بين الآباء والأبناء وأن يكون هناك حوار وتفاهم بين الطرفين حيث أن المصاحبة تعني احترام كل طرف رأي الطرف الآخر والاستماع له وعدم تسفيه رأية.. كل ذلك سبق به الإسلام الغرب منذ حوالي أربعة عشر قرنا من الزمان ووضع أسلوب التربية التي تنشئ الأجيال السليمة القوية والتى تتغلب بها على مشاكل سن المراهقة التي تؤدي إلى انحراف وضعف بعض الشباب إذا لم يتناولوا التنشئة السليمة بين أفراد الأسرة.

فالحوار إذن هو آلة أو وسيلة تواصل بين عموم عقلاء بني آدم منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ، وبالتالي يكون استبعاده نهائيا يمثل تراجعا – فى إدراك ماهية الأشياء – لا يمكن القبول به ، فهل من الحكمة والمنطق فى شئ إذا ما وجد شخص ما كلاما قبيحا وفاحشا مكتوبا على ورقة بواسطة قلم أن يُشار إلى القلم على أنه المتهم ، وبالتالى يتم تحريم استخدامه أو تداوله لكونه كان الوسيلة أو الآلة المستخدمة لإظهار الفحش أو القبح ؟.

فالذي يريد أن يقول للطرف الأخر أنت على خطأ لابد أن يحتاج إلى آلة أو وسيلة .. هي الحوار والذي يريد أن يقول للطرف الأخر أنت على صواب لابد أن يحتاج إلى آلة أو وسيلة هى الحوار.

إذن الناس فى حاجة ماسة إلى الحوار كوسيلة تخاطب أو كآلية عمل من أجل الخروج من المأزق الذي نعيش فيه ، وهم فى حاجة إليه بعدما شاهدوا حركة التغير فى العالم وغير قوائم الأعداء والأصدقاء. إذن نحن فى حاجة إليه لإنتاج وإشاعة ثقافة المرحلة.

وعلى حد تعبير الكاتب: شخصيا أشعر بالحاجة إليه لكي تسمعني... فهل لك أن تجربه لكي أسمعك؟.(١)

ويقال عن أهداف وغاياته الحوار "للحوار غايتان إحداهما قريبة والأخرى بعيدة . أما غاية الحوار القريبة والتى تطلب لذاتها دون اعتبار آخر فهي محاولة فهم الآخرين . وأما الغاية البعيدة فهي إقناع الآخرين بوجهة نظر معينة".(١)

ويلخص الدكتور عبد الله حمدنا الله أهداف الحوار كوسيلة يتحقق بها غايات الإسلام الكبرى فيقول:(٢) وإذا كان الإسلام يطلب الحق والعدل ويدعو إليه فإن الوسيلة لإقرارهما تبتدئ بالحوار الذي أقامه الإسلام على ثلاث مستويات:

١- المستوى الأول: الحوار مع النفس ومحاسبتها وحملها على الجادة وطلب الحق ويكون هذا فى شكل حوار داخلى مستمر بين النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة حتى يصل الإنسان إلى الاطمئنان.

٢- المستوى الثانى: الحوار بين أفراد المجتمع الإسلامي وفق اجتهاداته المختلفة عملا بمبدأ "التعاون فى الاتفاق والاعتذار فى الاختلاف" حفاظا على وحدة الصف الإسلامي.

٣- المستوى الثالث: الحوار بين المسلمين وغير المسلمين الذين يشتركون معاً فى إعمار الكون ، وهو حوار يجرى وفق مبدأ المدافعة الذي يمنع الفساد وينمى عوامل الخير.

---

(١) عيسى عبد القيوم – الحوار ... استخدمه لكى أسمعك- http://www.nfsl-libya.com/Articles/١٠٤٧-p.htm

(١) أ.د/ محمد المهدى أستاذ الطب النفسي – جامعة المنصورة الحوار الإيجابى ودوره فى الحد من العنف.
http://www.e-wtc.com/emrc/positive_conversation.htm

(٢) أ.د/ محمد المهدي: أستاذ الطب الطب النفسي – جامعة المنصورة – لحوار الإيجابي ودوره في الحد من العنف– نقلا من جريدة المسلمون – عدد٣٣٧–٨ المحرم١٤١٢ وانظر
http://www.e-wtc.com/emrc/positive_conversation.htm

الحوار مع الذات وصوره فى الثقافة العربية

من منطلق المثل السائر : **(فاقد الشيء لا يعطيه)** فإن الإنسان الذي لا ينظر إلى نفسه ولا يجري حوارا مع خواطره ومشاعره وإرادته ويقيم سلوكه وفكره وفق مقتضيات العقل ومعطيات الدين ويسلك سبيل المؤمنين فإنه من باب أولى لا يستطيع أن ينظر فى الآخرين أو فيما حوله من قضايا وأحداث او يجري حوارا يستكشف به بلوغ الحقيقة لأن فاقد الشيء لا يعطيه إذ أن نقد الذات مقدم على نقد الآخرين ومن جهل نفسه فهو عن غيره أجهل.

ولذلك فالإنسان بحاجة إلى ان يجرى مع نفسه حوارا يوميا يستمع فيه إلى أصداء آلامها وآمالها ويقوم انكساراتها ويصحح مرئياتها, بل ويتزود بوقود العطاء ويرسم منهج التقويم السليم ويكبح جماحها ويضع أمامها مشاريع مباركة وفاعلة يتحرر من خلالها من قيود الذات ويتجاوز الدائرة الضيقة.

الحوار مع الذات يرصد الإنسان من خلاله تحركات عاطفته ويسجل أبعاد شخصيته نعم اللقاء مع الذات أنه لقاء يزيل غيوم الغبش عن أعين الحقائق ويصفى الأجواء, بل ويتيح لأصوات العقل والحكمة والمنطق أن نؤكد حضورها فلا تملك الا أن تنصت لخطابها الأنيق حوار بين والعاطفة, بين الحب والكره, بين الجد والعبث, بين الحقيقة والخيال.

وقد جاءت تعاليم الدين وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم وآثار السلف الصالح بتوجيهات تحث الفرد والمجتمع والأمة على ضرورة اتخاذ هذه الخطوة وهى مراجعة الذات ونقدها ومحاسبتها ومحاورتها لتتمكن من تحقيق الأهداف السامية التى يعيش من أجلها الإنسان على وجه الأرض والتى تتلخص فى الخلافة والعبادة والعمارة.

وقد دل على وجوب محاسبة النفس قول الله عز وجل : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ*وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾**(سورة الحشر الآيتان١٨، ١٩) وقال الله تعالى:**﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾**

(سورة الزمر الآية :٥٤) فأمر سبحانه العبدَ أن ينظر ما قدم لغد، وذلك يتضمن محاسبة نفسه على ذلك ، والنظر: هل يصلح ما قدمه أن يلقى الله به أو لا يصلح؟.

والمقصود من هذا النظر: ما يوجبه ويقتضيه ، من كمال الاستعداد ليوم المعاد ، وتقديم ما يُنجيه من عذاب الله ، ويبيض وجهه عند الله.

ومن الآثار الواردة عن السلف فى ذلك ، ما قاله عمرو بن الخطاب رضى الله عنه : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنواها قبل أن توزنوا ،فإن أهون عليكم فى الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر ، ويومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية).

وكتب عمر بن الخطاب إلى بعض عمّاله :" حاسِبْ نفسَكَ فى الرَّخاءِ قبلَ حسابِ الشِّدَّةِ ؛ فإنَّ مَنْ حَاسَبَ نفسَهُ فى الرَّخاءِ قبل حِسابِ الشِّدَّةِ عادَ أمرُهُ إلى الرِّضي والغِبْطَةِ ، ومَن أَلْهَتْهُ حياتُه وشَغَلَتْه أهواؤهُ ؛ عادَ أمرُهُ إلى النَّدامَةِ والخسارةِ" .

وقال الفضيل بن عياض : المؤمنُ يحاسب نفسه ويعلم أن له موقفاً بين يدي الله تعالى ، والمنافق يغفل عن نفسه ، فَرَحِمَ اللهُ عبداً نظر لنفسه قبل نزول مَلَك الموتِ به

وقد مُثلث النَّفس مع صاحبها بالشَّريك فى المال ، فكما أنه لا يتمّ مقصود الشركة من الربح إلا بالمشارطة على ما يفعل الشريك أوّلاً ، ثمّ بمطالعة ما يعمل ، والإشراف عليه ومراقبته ثانياً ، ثم بمحاسبته ثالثاً ، ثمّ يمنعه من الخيانة إن اطلع عليه رابعاً ، فكذلك النفس: يشارطها أوّلاً على حفظ الجوارح السبعة التي حفظها هو رأس المال، والربح بعد ذلك ، فمن ليس له رأس مال ، فكيف يطمع في الربح ؟! وهذه الجوارح السبعة ، وهى العين ، والأذن ، والفم ، والقلب ، والفرج ، واليد ، والرجل : هى مراكب العطب والنجاة ، فمنها عطب من عطب بإهمالها وعدم حفظها ، ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها ، فحفظها أساس كلّ خير ، وإهمالها أساس كل شر.(١)

(١) الشيخ عبد الهادى بن حسن وهبي أمين – وقف البخاري فى عكار – شمال لبنان : محاسبة النفس
http://www.assiraj.bizland.com/library/hisab,htm

ومحاسبة الذات ومراجعتها تسير فى اتجاهين:

الأول: نقد الذات ، وهو ان ينتقد الإنسان نفسه وفكره ، أو تنتقد الجماعة فكرها واتجاهاتها ، تعرفا على النجاح لبذل المزيد من العطاء والتطور والتجديد أو تعرفا على مواقع الزلل والخلل، لإصلاحها وترميمها ، وتجنب تكرارها.

الثانى : نقد الآخر ، والآخر هو الغير ، أو الجماعة والفئة التى تختلف عن الذات فى الفكر وتأخذ بعدين فى مسارها ، الأول إنها عملية تلاقح للآراء ومقارنة بينهما لاختيار الأفضل ، والثاني نقد الآخر وتعريفه بخطئه كمرحلة أولى لكسبه وهدايته، ولابد أن تكون الدعوى متصفة بالحكمة والموعظة الحسنة وهذه العملية هى موضع سؤالنا ، لأن الآخر يتكون من جزأين هما ، الشخص والفكرة. وأخيرا فإن ضياع الذات وعدم اتباع المنهج السليم فى إصلاح الفرد والمجتمع من خلال هذا المبدأ كان مصدرا للشر والمشكلات ومحنة الأمة الإسلامية فى العصر الحديث ويلخص ذلك أحد قادة الفكر الإسلامي الحديث فيقول:(١)

محنة هذه الأمة واحدة ، وإن تراءت لها جوانب قد تبدو منفصلة ومستقلة بعضها عن بعض. وربما كانت المحنة الفلسطينية أو محنة ما يسمى بالتخلف عنها أبرز هذه الجوانب وأخطرها. غير أنها لا تعدو أن تكون واحدة من فروع كثيرة أخرى ، ينبثق جميعاً منه جذع واحد لا ثاني له ، قد كدنا نضيع بين تلافيف هذه الفروع والأغصان المتشابكة . بل لعل كثيرين منا قد ضاعوا فعلاً.

منذ سنوات طويلة ، ونحن نحبس أنظارنا وتأملاتنا عند رؤوس المشكلات والمصائب التى تطوف بنا دون أن نحرر أنفسنا يوماً ما من سجن هذه الفروع المتشابكة ، لنسبر أغوارها ، ونصل إلى جذعها وجذورها. فكيف نطمع أن نحل هذه المشكلات، ونحن واقعون منها وسط هذا التيه؟ من أين نبدأ ، إلى أين ننتهى؟ وأنى هى النقطة المحورية التى تحدد لنا كلاً من طرفي الابتداء والانتهاء؟

(١) الدكتور محمّد سعيد رمضان البوطى– الدينُ والفَلسَفَة
http://www,qudsway.com/Links/IsIamyiat/١١/HtmI_IsIamyiat١١/١١his١٩

أنبدأ المعالجة من مشكلة التجزيء والفرقة ، أم من مشكلة التخلف العلمي والتقني ، أم من مشكلات الفقر والتخلف الاقتصادي ، أم من مشكلة ضياع الوطن والأرض ، أم من مشكلة الاضطراب الفكري وازدواج الرأي والسلوك؟

كل هذه المشكلات مصائب (متواضعة) فى جسم هذه الأمة . ما فى ذلك ريب، لكن السؤال المحير هو : عند أي واحدة من هذه المشكلات يكمن منبع سائر المصائب والمحن الأخرى؟

والجواب أن هذه المصائب كلها فروع متساوية لمصيبة كبيرة هي فى الحقيقة أهم وأخطر منها جميعاً . إلا إنها مصيبة خفية لا تطفو على السطح ، بل تختبئ فى الأعماق، فلا حيلة فى السعي إلى إبرازها واضحة للعين المجردة وأمام أصحاب النظرة السطحية للأشياء . ولو بقيت هذه المه قرونا متطاولة، وهو تفرغ مصائبها السطحية هذه واحدة بأخرى، وتعالج كلا منها كما يعالج الرجل شقوق بناء أقيم على غير أساس ، لما جاءت جهودها بأي طائل ، ولظلت تهوى من ضعف إلى ضعف ، ولبقي العدو المتربص بها يزداد تمكناً منها واستلاباً لذخرها ومقدراتها ، حتى يحين منها التفاته جادة إلى جذورها المعضلة أساس المحنة ، ثم تعكف بصدق على معالجة تلك الجذور، عندئذ يمكن أن يقال : إنها عثرات أخيراً على الشعلة الهادية وسط الظلام ، وعلى الباب الذي يخرجها من سجن تلك الدائرة المغلقة فما هو ذلك الجذع المستصلب الغليظ الذي تتوالد منه فروع هذه المحن كلها؟

إنه ، وبكلمة بسيطة وموجزة : ضياع الذات.

نعم ، ضياع الذات هو الجذع المستصلب الخطير الذي انتشرت منه فى كل الجهات فروع وأغصان من المحن المتنوعة التي لا حصر لها.

وإنما أشدد على هذه الكلمة ، وأؤكد أنها – على الرغم من بساطتها وسهولة ما تدل عليه – هى ينبوع مصائبنا كلها ، لأنني أعلم أن كثيراً ممن حبسوا عقولهم وسط رقعة من شطرنج السياسة ، أو عودوا أفكارهم وأعصابهم على الدوران النظامي الربيب ضمن الدوائر المغلقة ، لا يقيمون لهذه الكلمة ولا لمدلولها أي وزن. إنهم لا يزالون يتوهمون – حتى بعد أن أنهكتهم التحركات السياسية ودوختهم المناورات التى

تظل تراوح فى مكانها – أن جذور هذه المحن كلها إنما تتمثل فى إرادة الدول العظمى والتحركات السياسية الكبري ، أو في الجمود عند الأفكار العتيقة !..

وإنما يغذى هذا الوهم لدى أصحابه ، تقادم انحباسهم فى قاع تحركاتهم الدائرية المغلقة التي لا يستبين فيها بدء من ختام ، ولا يتضح فيها الفرق بين أثر ومؤثر أو نتيجة وسبب !..

وربما غذاه لدى فئات أخرى من الناس أنهم استمرؤوا المحنة وتفيؤوا منها ظلالاً وارفة أنعشت أهواءهم وحققت الكثير من رغائبهم. فهم لا يتأففون منها إلا بمقدار ما ينشطون فى السعي ابتغاء نيل ثمارها واكتساب وآثارها.

غير أن هذا كله ما ينبغي أن يحجب عنا الحقيقة الجاثمة أمام أنظارنا وما ينبغي أن يجعلنا نتغاضى عن مصدر البلاء وجرثومة هذه الأمراض. لا سيما وقد تراكم حصاد هذه المصائب أمام أعيننا ، كأخطر ما يمكن أن تبدو عليه مصائب أمة ما ، فى أي عصر من العصور.

ألم تتفكك من بقايا القوى وتتحول إلى انكاث؟ ألم يتمزق ما بيننا من صلات القربى ورحم الآلام والآمال؟ ألم تتبعثر ثرواتنا الاقتصادية مواد وأدوات أولية فى أسواق الصناعات الأجنبية ، لترتد إلينا إغلالاً تصفنا حتى الأعناق؟ ألم تتعاظم نواة الاحتلال الصهيوني تحت أسماعنا وأبصارنا حتى ضربت لها جذوراً فى عمق بلاد الشام ، وأقامت على أرضنا المقدسة أوتاداً من القوة ، لا تبلغها قوى هذه الأمة جمعاء؟ ألم يتحول كيدنا لها وصمودنا ضدها إلى الكيد لأنفسنا والتربص ببعضنا ، حتى استحر الموت منا بعشرات الآلاف؟

صور الحوار فى الفكر العربي قبل الإسلام

منذ بداية قصة وجود الإنسان على الأرض خصه الله تعالى من بين الخلائق بعلم اللسان وفصاحة البيان فقال عز وجل (خلق الإنسان علمه البيان) وأنعم الله تعالى على آدم عليه السلام بمعرفة أسماء الأشياء لتكون وسيلة يخاطب بها ذريته وأداة للمناقشة والحوار بينهم وجاء الأنبياء فى مواكب متلاحقة ليعلموا البشرية طبيعة الكلمة وأهمية اللغة التى تأخذ وتعطي وتتعامل بها أفرادا و جماعات وليتعلم الإنسان كيف يعالج مشاكله بها ، ويتبادل منافعه من خلالها، لأنها تمثل النافذة التى يطل منها ويتواصل بها مع الآخرين، فكان الحوار هو أسلوب الأنبياء ، ورسالتهم الإلهية إلى الإنسان ، فأثاروا أمامه القضايا التى تتحدى جهله وتصحح فكره وآفاقه الضيقة ليثيروا فيه طبيعة المواجهة ، ليسأل ويناقش ويعترض ويحتج ، ليتحرك فى داخل نفسه ويخرج من الصمت والجمود والتحجر ، ومن يفقد صفة الحوار يتحرك فى الاتجاه السلبي للرسالة فينكرها ويتمرد عليها فيسب ويشتم وينكر ويجحد ويهدد بالقتل لأنه سلاح من يفقد ملكة الحوار وأدواته ، وصبر الأنبياء من موقع الوعي بطبيعة المرحلة وشعروا أنهم نجحوا فى إفساح المجال لهذا الإنسان أن يشك ويعيش القلق والحيرة وإن حاول بالإرادة المضادة فى التعبير عن رأيه.

تعددت الرسالات وبدأ الإنسان يحاور الأنبياء حوارا عنيفا متمردا – أحيانا – ووقف الأنبياء أمامه يحاورنه حوارا يخفف تمرده فكانت الكلمة الطيبة تقابل الكلمة العنيفة الحاقدة ، كانوا يسمعونه الكلمة الطيبة ليتعلمها وتبقى فى وعيه فيمارسها،وكانوا يدللونه بتسامحهم ليعرف كيف يتحول التسامح إلى ممارسة عملية، فيصبرون ليتعلم الإنسان كيف الصبر فى موقع النزاع وفي النوازل والتحديات فكانت مدرسة الأنبياء هى التى تعطى الدروس الأولى التى تعلمها الإنسان فى الحوار من خلال الأنبياء وكانت الرسالات الإلهية تتوالى أمام شقاوة التلاميذ الكسالى من الضالين والكافرين والمعاندين وتستمر مواكب النور من الأنبياء عليهم السلام وتتنوع الدروس فى أساليبها ووسائلها

وينطلق الحوار أمام العقليات الضيقة ويقف أمام القوة المادية الغاشمة ليعلم القوة أنها لا تستطيع أن تبني الحياة إلا من خلال الحوار.(١)

وبما أن الجزيرة العربية كانت هى الوريث الشرعي لتلك الرسالات الإلهية السابقة حيث اجتمعت فيها قبل الإسلام كل أشكال الطوائف والأديان وجميع الملل والنحل ومختلف الوثنيات والجاهليات لتشكيل مؤتمرا ومحفلا دوليا تستقبل فيه مولد النور الجديد الذي يفتح باب الحوار مع جميع المندوبين والممثلين لأفكار وتصورات البشرية عن الكون والحياة والإنسان قبل الإسلام.

من أجل ذلك كان تاريخ الفكر والثقافة العربية قبل الإسلام يوكد أنها ثقافة حوار حيث تميز المثقف العربي منذ القدم بالجرأة الفكرية وحرية التعبير عن نفسه وفكره ومخاطبة الآخر وتقبله ومبادلة الحديث والحوار معه واحترامه وإن اختلفا فى الفكر والدين والعادة، ووصف حياة العرب قبل الإسلام بالجاهلية ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم وإنما هي مشتقة من السفه والطيش وعدم الانصياع والطاعة فهي تقابل كلمة الإسلام الذي يدل على الانقياد والخضوع والطاعة لله سبحانه وتعالى فلم يكن العرب فى ذلك الوقت جاهلين جهلا ينافى العلم ، فقد ثبت أنهم كانوا أهل ذكاء ودهاء ودراية وخبرة وكان فيهم أصحاب أذهان صافية ونظرات ثاقبة فى أحوال الطبيعة والكون والحياة وأحوال الناس لا يقل عن نظرات الفلاسفة والباحثين ويسجل التاريخ أنهم كانوا على قدر من العلم والتفكير كما عرفت الجزيرة العربية قبل الإسلام الثقافات والأديان المختلفة والأفكار المتباينة والعادات المتنوعة وغير ذلك من مخلفات الفكر الإنسان فى عالم ذلك اليوم واعتنقها بعض العرب وحاورهم البعض الآخر ولولا سعة الفكر والثقافة العربية لكل إفرازات العقلية الإنسانية ، ومخلفاتها الفكرية لما وسعتهم أرض الجزيرة العربية فكان الحنفاء وهم الذين يبحثون عن الحقيقة حاوروا أحبار اليهود ورهبان النصارى وأصحاب تلك الثقافات والأديان الوافدة إلى بلادهم لعلهم يجدون عندهم ما يريدون فقد كانوا يبحثون عن التوحيد والخلاص من الشرك والوثنية ولكنهم لم يجدوا

---

(١) محمد حسين فضل الله – الحوار فى القرآن الكريم – دار التعارف للمطبوعات –بيروت – الطبعة الخامسة ١٩٨٧م

شيئاً ومن الذين اشتهر أمرهم من الحنفاء زيد بن عمر بن نفيل ومن أخباره أنه حاور أحبار اليهود ورهبان النصارى وذهب إليهم فى صوامعهم التى تناثرت على طريق التجارة بين مكة والشام فحاورهم فى أديانهم وثقافتهم ولكنه لم يجد ما يتطلع إليه من الحق والحقيقة فمات وهو فى الطريق مهاجرا يبحث عن معالم الحق وسمات الوحدانية لله تعالى إلى أن تحقق لهم الحق والحقيقة بظهور الإسلام فكشف الأباطيل والخرافات وصهر تلك الإفرازات والانحرافات وأبقي على القيم والمبادئ الفاضلة والنافعة لمسيرة الإنسان ويعيش بسلام فى هذه الحياة مع نفسه والآخرين ومع مخلوقات الله أجمعين يجمعها قاسم مشترك وهو خضوعها وطاعتها لله رب العالمين.

وتشكل الكلمة الشعرية قبل الإسلام الصيغة المثلي والأساسية للحوار ، وذلك لأن الشعر ديوان **العرب** ، هذه المقولة هى أصدق ما قيل عن عرب ما قبل الإسلام, والقراءة المتأنية للشعر الجاهلي تكشف لنا النقاب عن الموروث التشريعي والعقائدي والفكري لعرب الجزيرة قبل الإسلام

والشاعر بالنسبة لقبيلته كان بمثابة وزير الإعلام ومؤسسات الدعاية والإعلان فى عالمنا المعاصر ، بل كان على حد قول المستشرق نولدكه "نبى قبيلته وزعيمها فى الحرب وبطلها فى السلم" وأيام الشعر وأسواقه فى عكاظ والمربد وذو مجن كانت ندوات فكرية حوارية، يحجّ إليها الشعراء والمريدون من كل حدب وصوب، ليستمعوا إلى آخر القصائد ، ويتحاوروا فيما بينهم حول الشعر وقضايا المجتمع.(١)

ومن صور رجال الفكر والحوار فى الفكر العربي قبل الإسلام :(٢)

١- قصي بن كلاب:

لم يحدث اتفاق بين الباحثين حول أي شخصية وأثرها فى التاريخ العربي القديم مثل ما حدث حول قُصي بن كلاب. ولعل ما جعلهم يتفقون حوله هو وضوح

(١) – أمين أسبر – الحوار فى الثقافة العربية والإسلامية –

(٢) – خادم الرب الأمين – الموروث التشريعى للجزيرة العربية قبل الإسلام – وعلاقته بتشكيل الثقافة التشريعية العربية

http://www.servant١٣.net/sharia/index.htm-

دوره فى وضع بذور الإمبراطورية العربية ، فهو الذي حول سكان خيام يعيشون فى بيوت متنقلة حول مكة إلى سكان مدينة صارت مقصد العرب وقبلتهم . وقد بلغ الأمر بالعرب أنهم لم يكونوا يعقدون حلفاً ولا تجارة إلا فى بيت قُصي دار الندوة. ولعل قُصى فى سيرته هذه قد استلهم سيرة جده كعب بن لؤي ، الذي كان أول من جمع العرب فى يوم الجمعة ليتدبروا أمورهم ، والمعروف أن كعباً هو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم وواضع اللبنة الأولى لقريش ، تلك اللبنة التى أكمل عليها حفيده قُصي الأساسات ، ثم أتم الحفيد البعيد محمد صلى الله عليه وسلم باقي البناء لتخرج من قلب قريش تلك النخبة التي حكمت معظم المسكونة لقرون عديدة.

٢- أكثم بن صيفي

هو أكثم بن صيفي بن رباح ، هو من الأوائل فى أمور كثيرة ، وقد أجمعت مصادر التراث على تقديمه فى عصره على غيره من المشاهير ، حيث جعله الجاحظ رأس الخطباء والمقدم فيهم ، ولقبه بن عبد ربه وغيره بحكيم العرب ، ووصفه ابن كثير بانه طبيب العرب ، ووصفه غيرهم بأنه قاضي العرب فى الجاهلية .

وهو أول من حكم بأن الولد للفراش ، وهذا من الأمور التى أقرها الإسلام . ولعل آراء أكثم قصي وغيرهم ممن لُقبوا بحكام العرب قد تعطي فكرة أوضح عن التراث التشريعي قبل الإسلام ، فبعض الأحكام التي وضعوها أقرها الإسلام ، أو كما يقول المفسرون وأهل السيرة : إنهم وفقّوا لحكم الإسلام فى تلك الأمور ، مثل حُكم ذو المجاسد عامر بن جَشم فى الميراث ، فالعرب لم تكن تورث البنات فقرو ذو المجاسد توريثهن ، على أن تكون للذكر مثل حظ الأنثيين ، وهناك أيضاً بعض الشرائع التي اتبعها العرب قبل الإسلام لم يعرف واضعها مثل صلب قاطع الطريق ، أو ما يُسمي فى الإسلام بحد الحرابة ، وقد صلب النعمان رجلاً من بنى عبد مناف كان يقطع الطريق ، ومثل حكمهم فى الديات فقد كانت عشر من الإبل حتى جعلها عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم مائه من الإبل ، فجرت في قريش والعرب مائه من الإبل ، وأقرها الإسلام على ما كانت عليه . وحكمهم فى ان يقسم من أولياء الدم خمسون نفراً على استحقاقهم دم صاحبهم إذا صاحبهم إذا وجدوه قتيلاً بين قوم ولم يُعرف قاتله فإن لم يكونوا خمسين أقسم الموجودون خمسين يميناً ، ولا يكون فيهم صبي ولا امرأة ولا

مجنون ولا عبد، أو يُقسم المتهمون على نفي القتل عنهم . فإن حلف المدعون استحقوا الدية ، وإن حلف المتهمون لم تلزمهم الدية ، وقد أقر الإسلام هذا الحكم ، فقد ورد في صحيح مسلم أن رسول أقر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية .

أما بالنسبة لحد السرقة فيذكر ان قريشاً كانت تقطع يد السارق – قبل الإسلام – واختلف في أول من أقر هذا الحكم فقيل إنه عبد المطلب أو الوليد بن المغيرة . ومن جملة الأحكام التى كان يتبعها العرب قبل الإسلام : حكمهم فى الزواج ، والديون، واللقطة، والهبة، فبعض هذه الأحكام أقرها الفقه الإسلامي ، وبعضها الآخر رفضه الإسلام جملة وتفصيلاً.

٣- قُس بن ساعدة :

وهو قس بن ساعدة بن عمرو الأيادي ، أسقف نجران، خطيب العرب وحكيمها، عُرف عنه الفصاحة حتى قيل أفصح من قس ، وعُد من الأوائل فى أمور كثيرة ، فهو أول من قال أما بعد ، وهو أول من آمن بالبعث والحساب من أهل الجاهلية، وأول من كتب إلى فلان بن فلان ، وأول من قال البينة على المدعي واليمين على من أنكر، وأغلب شعره مفقود ولكن هناك خطبته المشهورة التى قالها بسوق عكاظ فيما يرويه المسعودي ، قال: قدم وفد من إياد على النبيﷺ فسالهم عن قُس بن ساعدة, قالوا: هلك, فقال : رحمه الله كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر ، وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، أما بعد فإن فى السماء لخبراً وإن فى الأرض لعبراً ، نجوم تُمور، وبحار تغور، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع – وأقسم قُس قَسماً لا حانثاً فيه ولا آثماً إن – لدينا هو أرضي من دين أنتم عليه , مالي أراهم يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تُركوا فناموا ، سبيل مؤتلف ، وعمل مختلف, وقال أبياتاً لا أحفظها فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال : أنا أحفظها يا رسول الله فقال : هاتها فقال:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يسعى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقين غابر

أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

فقال النبيﷺ رحم الله قساً إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده[١]

٤- زيد بن عمرو بن نفيل:

كان زيد ممن تحنف قبل بعث النبيﷺ وكانت له آراؤه فى عبادة الأصنام والذبح لها وفي كثير من أفعال العرب ، ومما يُروى عنه أنه كان لا يذبح للأنصاب ، ولا يأكل الميتة والدم ويحرم الخمر والخنزير ، وقد روى ابن دريد : أن زيداً أدراك أيام الرسولﷺ ثم قال : وكان النبيﷺ قبل الوحي قد حبب إليه الانفراد ، فكان يخلو فى شعاب مكة ، قال: فرأيت زيد بن عمرو فى بعض المشاعب ، وكان قد تفرد أيضاً ، فجلست إليه وقربت إليه طعاماً فيه لحم ، فقال: يا ابن أخي إني لا آكل من هذه الذبائح, وكان زيد يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا أكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه, وتغلب على شعره النزعة الدينية ، ومما نسب إليه قوله :

فتقوي الله ربكم احفظوها متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهم الجنان وللكفار حامية سعير
وخزي فى الحياة وإن يموتوا يلاقوا ما تضيق به الصدور

ويقول فى شعره معلناً كفره بالأوثان:

أربا واحداً أم ألف رب
أدين إذا تقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعاً
كذلك يفعل الجلد الصبور

وهذا الشاعر العربي منقب العبدي يسجل منهجية الحوار وأسلوب الخطاب والدقة فى التعبير ، ومتى يقول نعم أو لا فى خطابه مع الآخرين ، فى قصيدة تجمع

---

(١) المسعودي – مروج الذهب – المكتبة الإسلامية – بيروت- ج١ ص٦٩,٧٠

من الحكم والأخلاق ما يدل على غزارة وقوة عطاء تلك العقول العربية التي عاشت على فطرتها قبل الإسلام ، فيقول:

لا تقولن إذا ما لم ترد أن تتم الوعد في شئ نعم
حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم
إن لا بعد نعم فاحشة فبلا فبدأ إذا خفت الندم
فإذا قلت نعم فاصبر لها بنجاح القول إن الخلف ذم
وأعلم أن الذم نقص للفتى ومتى لا يتقي الذم يذم
أكرم الجار وارع حقه إن عرفان الفتى الحق كرم

ومما لا شك فيه أن تلك العقول العربية التي عاشت قبل الإسلام ما وصلت إلى تلك المنزلة من الحكمة والتشريع إلا بعد نظر ومناقشة وتأمل وحوار مع الزمان والمكان والفرد والجماعة فسجل لهم التاريخ تلك المنجزات والآثار الدالة على مكانة العقلية العربية وقدرتها على الإبداع والحوار والعطاء.

أصل الحوار وصوره فى القرآن والسنة

يمكن القول منذ البدء بأن القرآن الكريم كتاب حوار مفتوح لا حدود لأبعاده وآفاقه ، إذ تبادل هذا الحوار مع أصناف من خلق الله تعالى : مؤمنين ومشركين ومنافقين وأهل الكتاب وغيرهم ، بدءاً من الملائكة والأنبياء عليهم السلام إلى إبليس ، مبيناً أدواته المنهجية وكيفية إجرائه ، وقصة بداية نزول القرآن الكريم كانت فى شكل حوار وأول نص قرآني ورد بأسلوب التحاور العلمي حاور به جبريل عليه السلام محمدا صلى الله عليه وسلم حوار قرآني مجيد بدأ به رسول الله مع الملائكة فى تبليغ وحي الله ورسالة الحق والهداية فدار بينهما الحوار التالي:

جبريل الأمين عليه السلام : أقرأ
محمد صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارئ
جبريل الأمين عليه السلام : أقرأ
محمد صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارئ
جبريل الأمين عليه السلام : أقرأ
محمد صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارئ

أنهى جبريل عليه السلام محاورته العلمية مع محمد صلى الله عليه وسلم بالتلاوة على مسامعه أول خمس آيات قرآنية من رب العالمين إلى العالمين فقال :﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ *اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ (سورة العلق الآيات: ١/٥) وهى أول ما نزل من القرآن الكريم ، وهو بذلك يجسد أسمى آيات المجد والرفعة والتشريف للحوار العلمي وأهله.

فجاء الإسلام بعد ذلك من خلال القرآن الكريم ليكون دين الحوار ويطلق للفكر ان يفكر فى كل شئ وليحاور الآخرين على الحجة والبرهان والدليل ، وليعلم البشرية كيف يمكن الوصول إلى قناعاته وآفاقه بالكلمة الطيبة والأسلوب الجميل والموعظة الحسنة ، وعرف المسلمون من خلال القرآن الكريم منهج الدعوة وأسلوب الحوار فخرجوا بهذا الدين إلى آفاق العالم فى أجواء الحوار الذي يحترم الإنسان ويعترف بفكره ويقوده من خلال الحوار الفكري إلى مبادئ الإيمان التى يدعو إليها.

وأرسل الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين أرسله بدين الإسلام ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ليكون الدين الإسلامى آخر الرسالات الإلهية ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وأنزل عليها القرآن الكريم ليكون خاتمة الكتب السماوية فهذه الرسالة العظيمة المتمثلة فى دينها الإسلام ونبيها محمد صلى الله عليه وسلم وكتابها القرآن الكريم جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور وتعلم الناس كيف يكون الحوار طريقا للفكر والعقيدة والعمل.

ويؤكد القرآن الكريم إلى أنَّ الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية ، وقضاء إلهي أزلي مرتبط بالابتلاء والتكليف الذي تقوم عليه خلافة الإنسان فى الأرض قال الله تعالى :﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ (سورة المائدة الآية:٤٨) فالاختلاف والتعددية بين البشر قضية واقعية ، وآلية تعامل الإنسان مع هذه القضية هى الحوار الذي يتم من خلاله توظيف الاختلاف وترشيده بحيث يقود أطرافه إلى فريضة التعارف ويجنبهم مخاطر جريمة الشقاق والتفرق. ودعانا إلى التعامل مع هذه الحقيقة من خلال الحوار ، وإنما يعالج الحوار قضية بالتي هى أحسن لمعرفة ما هو أقوم للجميع ، ولابد

ليؤدي الحوار وظيفته كما يجب من أن ينضبط بمنهج يضمن عدم تحوله إلى مثار جديد للاختلاف ، وقد أكَّدَ القرآن هذا المبدأ بطرق عديدة فعرض القرآن لحوار الله مع خلقه بواسطه الرسل وكذا مع الملائكة ومع إبليس.

وللقرآن الكريم فى ذلك أسلوب رائع عجيب ، فهو إذ يناقش ويحاور ، يثير النظر، إلى الأدلة ويعرض لها ويدع ثمارها ونتائجها مكشوفة فى تضاعيف الكلام، دون أي نص على هذه النتائج ، بل يترك الربط والاستنتاج للسامع المتأمل!.. الاختلاف من خلال كشفه عن مواطن الاتفاق ومثارات الاختلاف لتكون محل النقاش والجدل.

وتلك هي فائدة الأسلوب الحواري القائم على السؤال والنقاش فالغرض منه سوق التلميذ في الطريق العلمي المطلوب بالسرعة ذاتها التى يسير بها المربي أو المعلم . إذ إن من أخطر آفات السرد والإلقاء المجرد ، أن يسير لمعلم فى ألقائه وسرده أشواطا إلى النتيجة العلمية المطلوبة بينما لا يزال السامع واقفاً حيث هو أو يسير متخلفاً عنه فى متاهات متعثرة لا تفيد علماً ولا تكسب فهماً ، وعندما يكون النقاش والحوار قائمين على هذا الغرض، فإن تصريح المناقش المربي بنتائج الأدلة وثمراتها (أثناء النقاش) يذهب بجدوى عمله التربوى كله.

وربما جاء الأسلوب الحواري لتحقيق فائدة أخرى، هى الكشف عن عناد المعاند، ومعرفته للحق الذي يتظاهر بجهله، فإن المناقشة تحركه وتلجئه إلجاء إلى الكشف عن خبيئة أمره وباطن ما فى نفسه، ولا يتحقق هذا الغرض أيضاً إلا بإثارة النظر فى الأدلة واعتصارها عن طريق النقاش والحوار، حتى تتبدى من خلالها النتائج دون أي نص عليها من المربي المناقش. انظر إلى هذه الآيات: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ *أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ *أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ *أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ *أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ

عَمَّا يُشْرِكُونَ *أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة النمل الآيات:-٦٤).

إنه أسلوب حواري كما ترى، يقوم على إثارة الأسئلة المنبهة للعقل والمحركة للفكر، ولا تجد أي جواب صريح على سؤال منها ، وإنما تجد بدلاً من الجواب لفت النظر إلى حيث يتسنى للفكر أن يدرك الجواب الصحيح ويتنبه له.

إنه يسأل، ويلح فى السؤال وطلب الجواب. ولكنه سرعان ما يضرب عن السؤال وطلب الجواب معاً ليلفت النظر إلى أساس المشكلة فى الأمر : إنهم يعدلون بالله غيره سلفاً، وإنهم لا يريدون أن يعلموا شيئاً عن حقائق الكون وما فيه من طوايا الأدلة الرهيبة على وجود الله ووحدانيته، وانهم لا يريدون أن يتذكروا نشأتهم الأولى وتدرجهم فى الخلق. ولو أنهم تذكروا، وعلموا، وانصفوا، لعلموا الجواب على كل هذه الأسئلة ، ولأقروا مؤمنين صاغرين.

ويأتى قوله تعالى:﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ .. الخ، بدلا عن الجواب الذي كان منتظراً منهم، فالعذر فى سكوتهم عن الإجابة على السؤال الأول المتعلق بخالق السموات والأرض ومنزل المطر من السحاب أنهم يعدلون بالله عز وجل غيره من المخلوقات، والعذر فى سكوتهم عن الإجابة على السؤال المتعلق بجاعل الأرض قرارا وخالق الجبال رواسي فى أنحائها أنهم لا يعلموا شيئاً من دقائق الكون وخفاياه والعذر فى سكوتهم عن الإجابة على السؤال المتعلق بمن يجيب المضطر عندما يتجه إليه مخلصاً فى الضراعة والدعاء أنهم قلما يتذكرون مثل هذه الساعات التى تمر فى حياتهم ... وهكذا.

إن هذا الأسلوب الحواري يكشف عن عناد المشركين ، ثم يزحزحهم عن مواقفهم العنادية هذه، ويضعف فيهم طاقة التشكيك والتجاهل!.. وبذلك يكونون مادة تربية لغيرهم إن أصروا على كفرهم مع ذلك، أو يكون هذا الحوار مادة تربية لهم أنفسهم إذا تنبهوا إلى دلائل الإيمان وضرورة الإنصاف.[1]

---

(١) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي – منهج تربوى فريد فى القرآن
http://www.qudsway.com/Links/Islamyiat/٧/Html_Ialamyiat٧/٧his١٤.htm

ومن صور الحوار في القرآن الكريم كذلك حوار مع الملائكة:

يقول الله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (سورة البقرة الآيات:٣٠/٣٣). تبين هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى حين خلق آدم ، ونفخ فيه من روحه شاءت إرادته أن يجعل في الأرض خليفة، فوجه الكلام بهذه الإرادة إلى الملائكة يقصد إلى إخبارهم بأسلوب يفيد استشارتهم في هذا الأمر العظيم. فجاء رد الملائكة تعجباً واستفساراً ، مستبعدين ان يجعل الله الخلافة فيمن طبيعته الفساد وسفك الدماء، مما يتنافى مع ما يريده الله من تعمير الأرض بالإصلاح والانضباط والانتظام. وهدم مع تفويضهم الأمر إلى الحق سبحانه ، يرون أنفسهم أولى بهذا الاستخلاف، لأنهم يعظمون الله وينزهونه. ولكن العلي القدير أخبرهم بأنه يعلم ما لا يعلمون، أي أنه في الوقت الذي أراد أن يجعل آدم خليفة له ، كان يعرف أن لآدم ما يؤهله لهذه المَهَمَّة. إنه العلم الذي جلاه تعالى في تعليم آدم جميع الأسماء التي يمكن التلفظ بها للتعبير عن الموجودات. وحين كشف الله جهل الملائكة بهذا العلم الذي لم يكونوا يعرفونه ، وأظهره على لسان آدم ، اتضحت للملائكة تلكم القيمة التي تجعله أهلاً للخلافة.

وكذلك حواره مع الأنبياء، ونشير فيه إلى مثالين فقط:

١- الحوار مع إبراهيم، عليه السلام، حين سأل الله تعالى أن يريه كيفية إحياء الموتى، قال الله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة٢٦٠).فقد خاطب إبراهيم ربه وسأله بتأدب واستعطاف واستلطاف، وبرغبة في المعرفة اليقينية القائمة على الرؤية البصرية ، أن يطلعه على الكيفية التي يحيي بها الموتى، فأجابه باستفهام مقصود به التقرير على إثبات النفي، وكان القصد غير معنى به إبراهيم ، وهو نبي الله

وخليله ، ولكن معنى به غيره من الذين قد يسألون او يشكون. ولعله اشتاق إلى ان يسمع من الله تعالى أنه آمن ، فوضع السؤال المفضي إلى ذلك. فكان أن عقب، عليه السلام، بما يحول النفي إلى إثبات، ذاكراً أنه يريد أن يسكن ويهدأ او يتحقق عن طريق الملموس والمحسوس، وإلى جانب الدليل الإيماني الراسخ بالبديهة. ولهذا أمره الحق سبحانه أن يمسك بيده أربعة من الطير يقطعها ويمزقها ثم يدعو أجزاءها الميتة فتأتيه هذه الأجزاء مجتمعة كما كانت في طير حي، وفق فهم معين للعملية؛ أو أن يفرق هذه الطير على مناطق أربعة ثم يدعوها فتلبي دعوته ممتثلة له ماثلة إليه، وفق فهم آخر، مما يدل على أنه عز وجل حين يريد بعث الموتى يأمر بإحيائهم فيستجيبون على الفور مطاوعين لإرادته.

٢- الحوار مع موسى، عليه السلام، وهو أقرب حوار في القرآن الكريم لما دار مع خليل الله يقول عز وجل:﴿ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ *قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف الآيتان:١٤٣/١٤٤) لقد جاء موسى في الوقت المعين له، فكلمه الله بكلام سمعه.ومعروف من خلال القرآن الكريم أنه تعالى يكلم البشر- وكلم أنبياءه - عبر وسائل ثلاثة، إذ يقول﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (سورة الشورى الآية:٥١) إلا ان موسى تطلع - بعد أن كلمه الحق سبحانه إلى رؤيته والتملي بجلاله ومشاهدة ذاته. غير أن سؤاله ووجه بالنفي ، مع استدراك يتضمن سبب هذا النفي، إذ أمره الله أن ينظر إلى الجبل الذي سيندك لمجرد ملامسة بعض جلاله تعالى، مما جعل موسى يصعق له ، فكيف لو تجلى له ومكنه من رؤيته على النحو الذي طلبه.

وكذلك من صور الحوار في القرآن الكريم حواره مع إبليس

يقول عز وجل:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا

فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ *قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ *ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ *قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الأعراف الآيات من ١١/١٨) . إنه حوار يكشف موقف الله عز وجل من امتناع إبليس عن السجود عاصياً أمره، إذ استفسره عن سبب ذلك فأدلى بأنه أفضل من آدم بعنصر خلقه. فكان أن أمره الحق سبحانه بالنزول من موقعه ومكانته، للتكبر الذي لا يغتفر له ، مع تأكيد هذا النزول بالخروج المثبت صغاره وحقارته. ويتابع الحوار بأن طلب إبليس من الله أن يبقيه إلى يوم البعث، فأخبره بأنه من جملة الباقين، وكما هو مقدر في سابق علمه تعالى ومشيئته. إلا أن إبليس يعقب بأنه نتيجة إضلال الله له ، سيعترض طريق آدم وذريته ، وسيتصدى لهم من كل جانب، حتى يضلوا فلا يطيعوا ولا يشكروا. وينتهي الحوار بالحكم على إبليس بالطرد من الجنة مذموماً حقيراً، وقد توعده الله ومن تبعه بجهنم ومن الحوار مع إبليس كذلك في نفس الموضوع – وهو كثير – ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا *قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا *وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا *إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (سورة الإسراء الآيات:٦١/٦٥)

تبدأ هذه المحاورة كسابقتها بأمر السجود لآدم ، إلا أن إبليس بما جُبل عليه من عصيان يمتنع محتجاً بدونية العنصر الطيني الذي خلق منه آدم، ومع ذلك فضله عليه وجعله أكرم منه. ويجترئ على الله فيقسم بأنه لو أبقاه إلى يوم القيامة ليغوين ذرية آدم ويضلنهم، ما عدا العباد المخلَصين، فيكون الرد الإلهي متضمناً إهانة إبليس وتحديه أن يفعل ما يستطيع مما يمكنه من قوة ووسائل شتى للتسلط عليهم وإغرائهم وإغوائهم. إذ لن يتمكن من عباد الله المخلَصين الذين هم في حفظه عز وجل .

وتجدر الإشارة في حوار ممائل إلى أن إبليس خاطب الخالق عز وجل بقوله﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة الحجر الآية:٣٦)﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي

الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الحجر الآية:٣٩)، إذ ناداه بـ:(رَبِّ) على الرغم من موقف العصيان الذي اتخذه ، وذلك تلطفاً في الحوار مع الله واعترافاً بربوبيته واستجلاباً لرحمته حتى يستجيب له . ونجد نفس الخطاب مع القسم بعزة الله في الحوار الذي جاء فيه:﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة ص الآية:٧٩)﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة ص الآية:٨٣)(١)

لقد كشفت لنا معالم المنهج الحواري في القرآن أنه ينطلق من حقيقة الاختلاف بين البشر وما يستلزمها من حرية الإنسان لينتهي إلى تأكيدها ، وبالتالي فهو منهج لا يهدف أكثر من دعوة الناس إلى التعرف على الحق واكتشاف التي هي أقوم، فالحوار وفق المنهج القرآني لا ينطلق من منطق الوصاية على الآخر او مجرد التعريف بما عند المحاور، إنما هي قضية بحث عن الحق أين كان، وهذا لا يعني ان المسلم عندما يدخل في حوار مع الآخرين قد تخلى عن تصوراته، إنما الموضوعية تتجلى في الاستعداد التام للتخلي عن جميع التصورات وتبني نقيضها إذا ما اتضح أنّ الحق مع الرأي الآخر وهذا الاستعداد ليس مجاملة إنما هو تعهد يعبر عن مصداقية المسلم في إتباع الحق، وهو تكليف إلهي صريح في محاورة الآخر﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾.

وإذا عرفنا هذه الأسس القرآنية لنجاح الحوار أو على الأقل عدم تحوله إلى الضد من اهدافه السامية، عرفنا أسباب التردي والفشل في مختلف الحوارات التي تجري في واقعنا بين المسلمين أنفسهم او بين المسلمين وغيرهم، فهي حوارات يغلب عليها منطق الوصاية وإثبات الوجود، لذا فهي أبعد ما تكون عن القصد إلى الحق، وهذا طبيعي إذا فقد المحاور اهم أسس الحوار وهو الحرية الفكرية التي يستطيع الفرد من خلالها اتخاذ قراره الفكري.(٢)

---

(١) عبد العزيز التويجري – الحوار من منظور إسلامي http://www.iswo.org.ma/pub/AR/ARBIC/Allhiwar/page1.htm

(٢) عبد الرحمن الحللي – منهج الحوار في القرآن الكريم
http://www.almultaka.net/web/web/mk١-p٧.htm

وسلك رسول الله المنهج القرآني في محاورة المشركين، ولا سيما أهل الكتاب الذي أمره الله أن يخاطبهم خاطباً مميزاً سمته العدل والمساواة والحسنى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية:٦٤)

وفي المدينة لما انتقل إليها رسول الله ﷺ، كان له حوار ومعاهدات وموائق مع سكانها، والصحيفة وثيقة تاريخية، حفظتها كتب السيرة ، لها مغاز ومعان وسامية.

وكان للرسول ﷺ حوار مع اليهود الذين أقرّهم على دينهم وأمنهم على أنفسهم وأموالهم، وكما كانت له معهم علاقات ودية فقد اقترض من بعضهم ، ولبّى دعوة للطعام عند أحدهم ، ومات ودرعه مرهونة عند آخر منهم...

ولنشير بإيجاز إلى موقف معهم مع يهودي أقرض رسول الله ﷺ مالا في تمر، ولما حلّ أجله، طلب حقه من رسول الله ﷺ بشيء من الغلظة وسوء القول، وكان عمر حاضراً فغضب وأراد ردّ الإساءة فقال له الرسول ﷺ : "أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك يا عمر: أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التباعة – المطالبة:-

وقد قدم على رسول الله ﷺ وفد من نصارى نجران بعد أن دعاهم إلى الإسلام، فاستقبلهم وأكرم ضيافتهم ، وأقاموا بجواره مدة يحاورهم ويحاورونه، في حرية كاملة، ثم عادوا إلى ديارهم آمنين، وفي نفس الوقت غير مسلمين، فلم ينتحلوا عن دينهم، لأنه:﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سورة البقرة ، الآية:٢٥٦).

وحفظت كتب السيرة رسائل بعث بها الرسول ﷺ إلى مقوقس مصر ، وكسرى الفرس، وهرقل الروم، وملك الحبشة وغيرهم، يدعوهم فيها إلى الإسلام ، تكريسا للحوار للإسلام أو الاطلاع على تعاليمه وقيمه.

ومن أطرف ما سجل القرآن الكريم، الحوار الذي دار بين رسول الله ﷺ وإحدى الصحابيات التي جاءت تشكو زوجها الذي ظاهر منها وتحاوره وتلح في محاورته، وهو يجيبها في كل مرة بأن ليس لديه شيء ونزل القرآن يبسط قضيتها ويقر رأيها ، ويبين حكم الظهار . قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا

وَتَشْتَكِي إِلَى اللّهِ وَاللّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ*الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (سورة المجادلة ، الآيتان:١-٢)

واستنتج الفخر الرازي من ان الجدال في تقرير الدلائل وإزالة الشبهات حرفة الأنبياء، وأن التقليد والجهل والإصرار على الباطل حرفة الكفار[١].

الحوار في الفكر الإسلامي في العصر الحديث

فأصل الحوار وصوره في الثقافة العربية الإسلامية ذا بعد حضاري عالمي، قابلاً للتفاعل أخذاً وعطاء مع ما يمكن أن نسميه بالأخلاق العالمية.

وقد ساعد على ذلك ثلاثة عوامل رئيسية، أحدها حرية العقيدة، وثانيها الدعوة إلى استخدام العقل ، وثالثهما روح التسامح والعفو.

واستمرّ الحوار أداة متأتى بين أيدي الخلفاء والولاة والعلماء والمجتهدين عبر العصور المتعاقبة، وفي المجالات المختلفة.

في البداية دار حوار حول مسألة جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ ولم يتمّ حسمه إلاّ على يد عثمان ﷺ في عهد عمر ﷺ بمنع تقسيم الأراضي المفتوحة، ويحاوره في ذلك جمع من كبار الصحابة منهم: عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وبلال ﷺ، فيقنعهم برأيه في رفق، ويقفون على صوابه.

ثم شهد تاريخ الفكر الإسلامي فترات وأجواء مناسبة للتفكير الحواري الديني ومناخاً للحرية الفكرية لم يتكرر كثيراً في التاريخ الإنساني، ويعد كتاب (الامتاع والمؤانسة) للشاعر والفارس المعروف أسامة بن منقذ (٤٨٨-٥٨٤هـ) من أهم ما ورد في التراث العربي في هذا الصدد ، إذ حرص كاتبه عند ذكره لمعارف أصحاب الديانات المختلفة أن يعرضها كما هي، ويفصل في شرحها وبيانها دون أن يلجأ إلى نقدها أو الهجوم عليها بل كان هدفه معرفياً بحتاً وهو ما يجعله رائداً في هذا الباب.[٢]

---

(١) الهادي حمو – مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم – مطابع النهضة – صفحة ٢٩٤

(٢) حسام تمام باحث ومصحفي – مصر حوارات الأديان ضرورة إنسانية أم مؤامرة عالمية؟!

http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/mafaheem-15.asp

وشمل الحوار منذ انطلاقه الحضارة الإسلامية ، ولا سيما بداية من النصف الثاني للقرن الأول الهجري مجالا حيوياً يتمثل فى حركة الترجمة ونقل التراث الإنساني، والخبرات البشرية إلى اللغة العربية ، فكان سبيلا إلى التلاقح الفكري، وحواراً حضارياً فى اجلى صوره.

انكبّ المسلمون على نقل علوم اهل الحضارات العريقة التى جاورت بلادهم فُرساً وروماً وهنوداً... وشجعوا المترجمين من شتى اللغات، وجلبوا الكتب من كل بقاع فى العالم الذي وصلوا إليه.

وشكل بيت الحكمة الذي تأسس فى بغداد وقرينه الذي تأسس فى القيروان ، مرحلة أخرى من الحوار الحضاري ولا سيما فى مجال ترجمة العلوم والفلسفات، والقيام بالتجارب والتحاليل، وإفساح المجالس العلمية للحوار بين العلماء من مختلف الحضارات والأديان. فقد كان يؤمهما المسلم واليهودي والنصراني وغيرهم ممن له علم وخبرة ورأى ، فكانا مركزين متميزين لتبادل الأفكار وتقارب الأنظار، بين الشعوب والحضارات والثقافات التي أنتجها العقل الإنساني.

هكذا انتشر الإسلام فى ربوع الأرض واتصل بثقافات الأمم وحضارات الشعوب وبالتالي انتقل الحوار إلى بوتقة التفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية، وثقافات الشعوب الأخرى عن طريق المترجمين، وأتقن الفيلسوف العربي المسلم أو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي(المتوفى ٧٨٠م) علوم اليونان وكتب متأثراً بها فى الطب وفلسفة أرسطو والرياضيات والفلك والموسيقى والفيثاعورثية ... إلخ. وأخذ الفيلسوف الفارابي(المتوفي عام ٣٣٩هـ) عن يوحنا بن حيلان ببغداد، وإلى عمله يرجع تأثر الكلام بمنطق أرسطو، إذ قدم أيضاً جزءاً من مؤلفات أرسطوا وفلسفته وكتب فى الأخلاق والدين والرياضيات والموسيقى والعلوم ... إلخ .وانتقل العالم ثابت بن قرة (٨٣٤-٨٩٠م) وهو الصابئى، من حران إلى بغداد حيث صادقه الأمير المعتضد الذى الذي صار خليفة فيما بعد، وإلى أبي زكريا يحيى بن عدي النصرانى (المتوفى عام ٩٧٥م) انتهت رئاسة أصحاب المنطق فى عصره ، وإلى جانب هؤلاء تقرأ أسماء ابن سينا والمسعودي وابن مسكوية الفارسي المسلم (المتوفي عام ١٠٣٠م).

وأثمرت الحركة العلمية ازدهارا كبيرا فى التأليف وتصنيع الأدوية ، وتقدما فى الحياة الاجتماعية، وتهيأت ثمار هذه الحركة المتطورة فى العلوم المختلفة لتدخل إلى اوروبا عن طريق صقلية، مع البوابة الثانية ذات الأهمية البالغة – الاندلس:-

وتجدر الملاحظة أنّ دور العلم مدارس وجامعات ومجامع بحثية وبيتي الحكمة ببغداد والقيروان ، ثم بمصر كانت أبوابها مفتوحة للوافدين عليها من مختلف البلاد المجاورة، طلبة وقساوسة وغيرهم ، ينهلون من علومها وفنونها وينقلونها إلى بلادهم، فى حرية كاملة ودون أيّ تضييق.

وعرفت الأندلس عهداً مزدهراً من الحرية الفكرية والعقدية ومن تبادل الرأي والتسامح، وبلغ الحوار الحضاري على أرضها مستوى لم يعرف فى عدة بلدان أخرى.

وتنامي الحوار مشرقا مع الحضارات الفارسية والهندية والصينية، وتعمق عن طريق التبادل التجاري، فانتشر الأمن والسلم والتقارب الفكري وتعايش الأديان. كما تجلى الحوار عن طريق تبادل السفراء والرسائل بين الخلفاء والملوك المسلمين وغيرهم فى بلاد متعددة، بين الرشيد وشارلمان نموذجا.

لقد كان الحوار عامل إثراء وتقارب فى الحضارة الإسلامية، أسسه: التآخي الإنساني، واحترام الآخر فى معتقده ورأيه ولسانه، وعرقه ووطنه، والتعاونُ والتسامح.(١)

وبصوره مختصرة كان ثمة تفاعل بين الثقافة العربية والإسلامية الجديدة وبين الثقافة اليونانية وبقية الثقافات القديمة. لم يكن ثمة تمييز بين من يعتنق الإسلام أو من لا يعتنقه فى عملية التأثير، فالخوارزمي وابن رشد وابن سينا وابن خلدون وغيرهم لم يكونوا عرباً، وإنما فكروا وكتبوا باللغة العربية. كان العلم هو سيد الموقف، والعالم هو الأقدر على الإبداع والترجمة.

إن هذا الحوار المتعدد السمات قد مكن العرب من الاتصال والتفاعل مع حركة التاريخ الحضاري والتأثير فى البلاد الأخرى مما يوضحه غوستاف لوبون بقوله "لم

---

(١) عبد المجيد بن حمدة – رئيس جامعة الزيتونه مكانة الحوار فى الحضارة الإسلامية
http://www.iseco.org.ma/Dialogue/Tunis/AR/Amine.isbar.htm

يقتصر شان العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه، فالعرب قد نشروها كذلك، بما أقاموه من الجامعات وما ألفوه من الكتب، فكان لهم الأثر البالغ فى أوربا من هذه الناحية . إن العرب وحدهم كانوا أساتذة الأمم النصرانية عدة قرون، وأننا لم نطلع على علوم قدماء اليونان والرومان إلا بفضل العرب، وإن التعليم فى جامعاتنا لم يستغن عمّا نقل إلى لغاتنا من مؤلفات إلا فى الأزمنة الحاضرة.

وحسبنا فى مجال تأثير العرب فى أوروبا أن نشير أيضاً إلى ما قاله الرئيس الفرنسى جاك شيراك."ما الهندسة المعمارية والشعر والرياضيات، ولولا الثقافة العربية التى ورثت أيضاً المعارف القديمة، وجابت أصقاع الأرض بعيداً عن حدودها حين كانت أوربا تتقوقع على نفسها " هذا وفى الوقت الذي كانت فيه شعلة العلوم والفكر تخبو فى المنطقة العربية – الإسلامية، فإن الغرب ممثلا فى قرطبة وصقلية والبندقية وباريس وأكسفورد كان يستيقظ على وقع العلوم والثقافة العربية – الإسلامية .(٢٦)

من صور التفكير الحواري فى العصر الحديث

ما أحوج عالمنا اليوم إلى الحوار بين كل سكانه، فقد بلغ درجة من التشابك والتلاحم والترابط فى المصالح ومرافق العيش، يستحيل معها على أيّ مجتمع أو دولة ان تعيش فى عزلة.

إن تعميق الحوار، وتوسيع نطاقه ، وتنويع مجالاته، ليشمل مختلف الحضارات سوف يقرب بين اتباعها لأنّ هناك قواسم مشتركة راسخة بينهما تتمثل خاصة فى مكانة الإنسان فى الكون ، وكرامته وحقوقه، وأهمية علاقاته مع ذاته وأسرته ومجتمعه وأمته ووطنه، ومع بني الإنسان كافة، هذه العلاقات التي يرسخها التعارف والتفاهم والتقارب...

إن الحوار ميزة الإنسان،يُفصح عن منطقه، وعن عقله الذي يرفعه إلى أعلى مراتب المخلوقات والكائنات الحية.

(٢٦) أمين إسبر الحوار فى الثقافة العربية الاسلامية

نحن اليوم أحوج ما نكون إلى حوار متكافئ بين كل الأطراف، يحقق مصالح الجميع، واحترامه خصوصيات الجميع، والتعايش السلمي، والبناء بين الجميع ، قطعاً لأسباب الفتنة والعنف، واجتثاثاً للإرهاب والتطرف.(١)

إن الحوار كفيل بإشراك الجميع فى إقامة حضارة الإنسان من مختلف الأديان والأوطان والألوان...

لقد دخل العرب فى العصر الحديث حلبة الحوار على المستوى الدولي ، وأصبح بإمكاننا أن نميّز صيغة على النحو التالي:

الحوار العربي – العربي : ويتمثل طابعه الجماعي من خلال قيام الجامعة العربية التى تعتبر أقدم المنظمات الإقليمية فى العالم.

الحوار العربى مع البلدان النامية من خلال حركة عدم الانحياز.

الحوار العربي- الإفريقي من خلال منظمة الوحدة الإفريقية عام ١٩٦٣م الذي تحول قريبا إلى (اتحاد الدول الإفريقية).

الحوار الإسلامي – الإسلامي : شكل حريق المسجد الأقصى فى آب (أغسطس)١٩٦٩ إيذاناً بولادة هذا الحوار على الصعيد الرسمي والوثائقي، وذا اجتمع رؤساء الدول الإسلامية فى أول مؤتمر للقمة فى أيلول (سبتمبر) من نفس العام. وفى آذار(مارس) من عام ١٩٧٠ تقرر إنشاء الأمانة العامة المؤتمر الإسلامي فى الاجتماع الأول لوزراء خارجية الدول الإسلامية فى جدة، وتمت الموافقة على ميثاق المنظمة فى الدورة الثانية لاجتماع وزراء الخارجية فى جدة خلال آذار (مارس) من عام ١٩٧٢ تأثر الحوار الإسلامي – الإسلامي بالمفهوم الغربى لحقوق الإنسان ، فصدر إعلان القاهرة عن حقوق الإنسان فى الإسلام عام ١٩٩٠، وذلك تتوجاً للمناقشات التى دارت حول الموضوع خلال مؤتمرات القمة فى الطائف ١٩٨١.

وبصورة مجملة يمثل منظمة المؤتمر الإسلامي حضوراً للتفاعل والحوار المستمر بين الدول الإسلامية من جهة وبين العالم الخارجي ومشاكل العصر من جهة ثانية، إلا ان الحوار الثقافي قد أخذ أبعاده الرسمية هو الآخر خلال انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي

(١) عبد المجيد بن حمدة – رئيس جامعة الزيتونة مكانة الحوار فى الحضارة الإسلامية
http://www.isesco.org.ma/Dialogue/Tunis/AR/Amine.isbar.htm

الثالث فى مكة والطائف في كانون الثاني (يناير) ١٩٨١، بمناسبة استقبال القرن الخامس عشر الهجري بقيام مؤسسة الإيسيسكو، إذ أكد بيان مكة على ان تبذل الدول الأعضاء مزيداً من الجهد فى شتى ميادين الثقافة من أجل تحقيق التقارب فى الأفكار بين المسلمين، وتنقية الفكر الإسلامي من كل ما هو دخيل أو مفرق.

ما من ريب أن الحوار الإسلامي – الإسلامي قد قطع أشواطاً إيجابية فى التعريف بالثقافات ووجهات بين الشعوب والدول الإسلامية، وأسهمت مشاركة مراكز القرار فى البلاد الإسلامية، بما فيها البلدان العربية، فى إغناء الوحدة الثقافية للعالم الإسلامي، فى إطار تعدد الثقافات العربية والإفريقية والآسيوية وتفاعلها فيما بينها.

وما يزال ثمة الكثير للقيام من أجل تجاوز ما ذهبت إليه إحدى مدارس الفلسفة اليونانية القديمة من أن " الأموات يحكمون الأحياء"، فقراءة التراث على ضوء الحاجات المادية والروحية للإنسان والعالم، أهم من النظرة الإيديولوجية إلى الخلافات والصراعات السياسية المذهبية، وعلى ضوء ذلك يمكن النظر إلى المذاهب الإسلامية باعتبارها اجتهادات فقهية وليست ثوابت يقينية.

قد لا يكون يسيراً على منظمة ثقافية عريضة أن تأخذ على عاتقها مسؤولية الحوار بكل أبعاده، بسبب النظرة القدسية والمثالية التى ينظر من خلالها البعض إلى الماضي ككل، ولكن الواقع يفرض نفسه، وله اهميته وخطورته، والتوفيق بين المثالية والواقع صعب ولكنه ممكن.

يقول الشاعر والمفكر الإسلامي محمد إقبال:" إن المثالية والواقع فى الإسلام ليسا قوتين متنافرتين لا يمكن التوفيق بينهما، لأن حياة المثل الأعلى لا تتمثل فى انفصام كامل عن الواقع، والذي ينزع نحو تحطيم الوحدة العضوية للحياة وتشتيتها فى صورة مواجهات مؤلمة، ولكنها تتمثل فى جهد المثل الأعلى الدائب للاستئثار بالواقع بقصد احتوائه إن أمكن واستيعابه وتحويله فى ذاته وإنارته في مجموعة

ذلك من جهة ومن جهة ثانية فطالما إن الثقافة العربية الإسلامية فى جوهرها وأدائها الحضاري، وهى ثقافة شمولية كونية، فإن أمام الحوار الإسلامي مع نفسه ومع الغير مسؤولية المشاركة فى إيجاد الحلول العقلانية لمجابهة الأخطار التى تهدد العالم كالتلوث البيني والسلاح النووي والفقر والإرهاب والأمية.

خاتمة

معوقات فى طريق نجاح الحوار

أدت نتائج البحث حتى الآن ألن أسلوب الحوار وصوره فى الثقافة العربية كان إيجابيا فى كل أحواله وصوره ولكن قد يؤدى الحوار إلى نتائج سلبية إذا لم يلتزم بعناصر الحوار ومنهجه القويم، وإذا أردنا نستعرض بعض ألوان الحوار السائدة فى حياتنا والمؤثرات فى سلوكنا وفى مسيرتنا الحضارية أفراداً وجماعات ولنبدأ بألوان الحوار السلبي:(١)

١- الحوار العدمى التعجيزي: وفيه لا يرى أحد طرفي الحوار أو كليهما إلا السلبيات والأخطاء والعقبات وهكذا ينتهى الحوار إلى انه لا فائدة ويترك هذا النوع من الحوار قدراً كبيرا من الإحباط لدى احد الطرفين أو كليهما حيث يسد الطريق أمام كل محاولة للنهوض.

٢- حوار المناورة(الكر والفر): ينشغل الطرفان (أو أحدهما) بالتفوق اللفظي فى المناقشة بصرف النظر عن الثمرة الحقيقية والنهائية لتلك المناقشة وهو نوع من إثبات الذات بشكل سطحي.

٣- الحوار المزدوج : وهنا يعطى ظاهر الكلام معنى غير ما يعطيه باطنة لكثرة ما يحتويه من التورية والألفاظ المبهمة وهو يهدف إلى إرباك الطرف الآخر ودلالاته انه نوع من العدوان الخبيث.

٤- الحوار السلطوي (اسمع واستجب): نجد هذا النوع من الحوار سائدا على كثير من المستويات، فهناك الأب المتسلط والأم المتسلطة والمدرس المتسلط والمسئول المتسلط.. الخ وهو نوع شديد من العدوان حيث يلغي أحد الأطراف كيان الطرف الآخر ويعتبره أدنى من أن يحاور، بل عليه فقط السماع للأوامر

(١) أ.د./ محمد المهدي أستاذ الطب النفسي- جامعة المنصورة- الحوار الايجابى ودوره فى الحد من العنف
http://www.e-wtc.com/emrc/positive_conversation.htm١

الفوقية والاستجابة دون مناقشة او تضجر وهذا النوع من الحوار فضلا عن أنه إلغاء لكيان (وحرية) طرف لحساب الطرف آخر فهو يلغى ويحبط القدرات الإبداعية للطرف المقهور فيؤثر سلبيا على الطرفين وعلى الأمة بأكملها.

٥- الحوار السطحي (لا تقترب من الأعماق فتغرق) : حين يصبح التحاور حول الأمور الجوهرية محظورا أ محاطا بالمخاطر يلجأ احد الطرفين أو كليهما إلى تسطيح الحوار طلباً للسلامة أو كنوع من الهروب من الرؤية الأعمق بما تحمله من دواعي القلق النفسي أو الاجتماعي.

٦- حوار الطريق المسدود (لا داعى للحوار فلن نتفق) : يعلن الطرفان (أو أحدهما) منذ البداية تمسكها (أو تمسكه) بثوابت متضادة تغلق الطريق منذ البداية أمام الحوار وهو نوع من التعصب الفكري وانحسار مجال الرؤية.

٧- الحوار الإلغائي أو التشفيهي (كل ما عداي خطأ) يصر أحد طرفي الحوار علي ألا يري شيئا غير رأية ، وهو لا يكتفي بهذا بل يتنكر لأي رؤية أخري ويسفهها ويلغيها وهذا النوع يجمع كل سيئات الحوار السلطوي وحوار الطريق المسدود .

٨- حوار البرج العاجي : ويقع فيه بعض المثقفين حين تدور مناقشتهم حول قضايا فلسفية أو شبه فلسفية مقطوعة الصلة بواقع الحياة اليومي وواقع مجتمعاتهم وغالبا ما يكون ذلك الحوار نوع من الحذلقة وإبراز التميز علي العامة دون محاولة إيجابية لإصلاح الواقع.

٩- الحوار المرافق (معك علي طول الخط) : وفيه يلغي أحد الأطراف حقه في التحاور لحساب الطرف الآخر إما استخفافا (خذه علي قدر عقله) أو خوفا أو تبعية طلبا لإلقاء المسئولية كاملة علي الآخر .

١٠-الحوار المعاكس (عكسك دائما) : حين يتجه أحد طرفي الحوار يمينا ويحاول الطرف الآخر الاتجاه يسارا والعكس بالعكس وهو رغبة في إثبات الذات بالتميز والاختلاف ولو كان ذلك علي حساب جوهر الحقيقة .

١١-حوار العدوان السلبي (صمت العناد والتجاهل) : يلجأ أحد الأطراف إلى الصمت السلبي عنادا وتجاهلا ورغبة في مكايدة الطرف الآخر بشكل سلبي

دون التعرض لخطر المواجهة . كل هذا الألوان من الحوارات السلبية الهدامة تعوق الحركة الصحيحة الإيجابية التصاعدية للفرد والمجتمع والأمة وللأسف فكثير منها سائد في مجتمعاتنا العربية الإسلامية لسباب لا مجال هنا لطرحها

إذن فما هي يا تري مواصفات الحوار الإيجابي الذي نسعي لترسيخه بيننا ؟

إن الإجابة بسيطة ولكن تنفيذها يحتاج إلى وقت وصبر ولكن لامناص من المحاولة والصبر والمثابرة ، فعلي أساس الحوار ينبني السلوك وتتشكل العلاقات وينهض الفرد والمجتمع والأمة .

والحوار الإيجابي الصحي هو الحوار الموضوعي الذي يري الحسنات والسلبيات في ذات الوقت ، ويري العقبات ويري أيضا إمكانيات التغلب عليها ، وهو حوار متفائل ، حوار صادق عميق وواضح الكلمات ومدلولاتها وهو الحوار المتكافئ الذي يعطي لكلا الطرفين فريضة التعبير والإبداع الحقيقي ويحترم الرأي الأخر ويعرف حتمية الخلاف في الرأي بين البشر وآداب الخلاف وتقبله . وهو حوار واقعي يتصل إيجابيا بالحياة اليومية الواقعية واتصاله هذا ليس اتصال قبول ورضوخ للأمر الواقع بل اتصال تفهم وتغيير وإصلاح وهو حوار موافقة حين تكون الموافقة هي الصواب ومخالفة حين تكون المخالفة هي الصواب فالهدف النهائي له هو إثبات الحقيقة حيث هي لا حيث نراها بأهوائنا وهو فوق كل هذا حوار تسوده المحبة والمسئولية والرعاية وإنكار الذات

ولنأخذ مثلا من الحوار الإيجابي من التاريخ الإسلامي وقد حدث هذا الحوار في غزوة بدر حين تجمع المسلمون للقاء الكفار وكانت آبار المياه أمامهم وهنا نهض الحباب بن المنذر رضي الله عنه وسأل رسول الله ﷺ : اهو منزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فأجاب رسول الله ﷺ بل هو الرأي والحرب والمكيدة .

فقال الحباب : يا رسول الله ما هذا بمنزل وأشار علي رسول الله ﷺ بالوقوف بحيث تكون آبار المياه خلف المسلمين فلا يستطيع المشركون الوصول اليها وفعلا أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الرأي الصائب وكان ذلك أحد عوامل النصر فى تلك المعركة.

وإذا حاولنا تحليل هذا الموقف نجد أن الحباب بن المنذر كان مسلماً ايجابياً على الرغم من أنه أحد عامة المسلمين وكان أمامه من الأعذار لكي يسكت أو يعطل تفكيره فهو

جندي تحت لواء رسول الله ﷺ الذي يتلقي الوحي من السماء وهناك كبار أصحاب الرأي والمشورة ولكن كل هذا الأسباب لم تمنعه من اعمال فكرة ولم تمنعه من الجهر برأيه الصائب ولكنه مع ذلك التزم الدب الرفيع في الجهر بهذا الرأي فتساءل أولا إن كان هذا الموقف وحي من عند الله أم أنه اجتهاد بشري فلما عرف انه اجتهاد بشري وجد ذلك مجالا لطرح رؤيته الصائبة ولم يجد الرسول ﷺ غضاضة في الأخذ برأي واحد من عامة المسلمين وهذا الموقف يعطينا انطباعا هاما عن الجو العام السائد في الجماعة المسلمة آنذاك ، ذلك الجو المليء بالثقة والمحبة والايجابية وإبداء النصيحة وتقبل النصيحة .

وإذا كانت النظم الديمقراطية الحديثة تسمح للمواطن إن يقول رأيه إذا أراد ذلك ،فإن الإسلام يرتقي فوق ذلك حيث أنه يوجب علي الإنسان أن يقول رأيه ولو كان جنديا من عامة الناس تحت لواء رسول الله ﷺ وهذا المستوي من حرية الرأي لا نجده الآن في أكثر الدول مناداة بالحرية فلا يجرؤ جندي إن يشير علي القائد الأعلي للقوات المسلحة في أية دولية عصرية بتغيير الخطة العسكرية حيث لا يزال الحوار الفوقي السلطوي هو السائد في المجالات العسكرية علي وجه الخصوص حتي في أكثر الدول تقدماً

وليس معني هذا أن يتحول المجتمع المسلم إلى أفراد متناحرين بآرائهم دون اتفاق وإنما يجب عند مواجهة أي قضية عامة أن يدلي كل صاحب رأي برأية بأمانة ومسئولية ثم تجمع هذه الآراء لدي أهل الحل والعقد فيفندونها ويناقشونها ثم يتخذ القرار الصحيح بناء علي تلك الرؤي المتعددة وحين يتخذ القرار ويبدأ التنفيذ فعلي أفراد المجتمع المسلم أن يتعاونوا جميعا في تنفيذ ما اتفق عليه حتي ولو كانت آراؤهم الفردية تختلف معه ولا يصح لفرد أن يشق الصف بعد أن يتفق أهل الحل والعقد علي رأي معين وهذه المبادئ غاية في الأهمية للمحافظة علي سلامة الصف الإسلامي وتماسكه .

وصدق رسول الله ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرا أو ليصمت

والحمد لله رب العالمين